الفصل الأول

نبذة عن ابن حزم ورينان

تمهيد

يتناول هذا الفصل المصادر الإسلامية التي استقى منها علماء الأديان المسلمين -وعلى رأسهم ابن حزم الأندلسي- أصول مناهجهم النقدية للعهد القديم، وينقسم إلى رافدين رئيسيين:

أولاً - النقد القرآني للتوراة المحرفة.

أ - الموقف العام من التوراة.

ب - الأسس العامة لنقد التوراة في القرآن الكريم.

ج - نماذج من نقد القرآن الكريم للتوراة المحرفة وسلوكيات اليهود.

ثانيًا :منهج النقد الحديث.

أ - الخطوط العامة للمنهج.

ب - نماذج من تطبيق علماء الأديان المسلمين للمنهج على العهد القديم.

المبحث الأول

النقد القرآني للتوراة

أ – الموقف العام من التوراة:

يمكن بلورة الموقف العام الذي يمكن استخلاصه من القرآن الكريم، من التوراة على النحو التالي:

أولًا: التأكيد على وجود توراة أصلية موحى بها من الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام٩١]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة٤٤].

ثانيًا: التأكيد على تعرض نص التوراة كوحي إلهي للتحريف والتبديل قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة٧٥]. وقال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة٧٩].

ثالثًا: ومما سبق يمكن تحديد علاقة القرآن الكريم -كنص محفوظ سَلِم من التحريف والتبديل(١)- بالتوراة بأنها علاقة هيمنة قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا

---

(١) تعهد الله بحفظ القرآن الكريم بنفسه قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩). أما الكتب السابقة فقد وكل الله تعالى حفظها للبشر قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ ... ﴾ (المائدة: ٤٤). ولذلك وصفه تعالى بأنه: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت:٤٢). انظر: أ.د.محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، دار القلم، دمشق،١٣٩٠هـ-١٩٧٠م، ط٢،ص١٣. ومن المعروف أن تدوين الوحي القرآني قد تم في عهد النبي، وجمع في عهد أبو بكر وعمر وانتهى جمعه في عهد عثمان -رضي الله عنهم أجمعين-. كما أن كثير ممن قاموا بعملية الجمع كانوا أصلاً من كتبة الوحي، يقول بوكاي:«إن لتنزيل القرآن تاريخًا يختلف تمامًا عن تاريخ العهد القديم والأناجيل، فتنزيله يمتد على مدى عشرين عامًا تقريبًا، وبمجرد نزول جبريل به على النبي ﷺ كان المؤمنون يحفظونه عن ظهر قلب، بل لقد سجل كتابه حتى في حياة محمد ﷺ...». (انظر: د.موريس بوكاي: القرآن الكريم و التوراة والإنجيل والعلم ، مكتبة

بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة٤٨].

ولا تعني الهيمنة هنا فرض السيادة والسيطرة، إنما تدور معاني الهيمنة، حول التصديق والرقابة والشهادة والحفظ والائتمان، وغيرها من المعاني الإيجابية، والتي تدور معظمها حول قبول ما ورد في الكتب السابقة موافقًا للقرآن ورفض ما خالف القرآن(١).

يقول الطبري: ﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨] أي: أنزلناه لتصديق ما قبله من كتب الله التي أنزلها إلى أنبيائه، وشهيدًا عليها أنها حق من عند الله تعالى، وأصل الهيمنة الحفظ والارتقاب. ويقول في موضع آخر نقلاً عن ابن جريج: «القرآن أمين على الكتب، فيما أخبرنا أهل الكتاب في كتبهم بأمر إن كان في القرآن فصدقوا وإلا فكذبوا، والقرآن أمين على كل كتاب قبله»(٢). أما الرازي فيجعل معنى الهيمنة يدور حول مفاهيم الرقابة والشهادة والحفظ ويرى أن ذلك «لأنه الكتاب الذي لا يصير منسوخًا البتة ولا يتطرق إليه التبديل والتحريف»(٣). ويمكننا حصر دلالات مفهوم الهيمنة في عدة نقاط:

– الهيمنة بمعنى التصديق، أي: الاعتراف بما بقي من وحي فيها موافق للقرآن وللدين الإسلامي، وترك ما انحرف منها باعتبار أن هذه الكتب قد نزلت على رسل وأنبياء يتفقون في جوهر رسالتهم مع الإسلام، بل ويندرج جميع الرسل في إطار الإسلام، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[آل عمران: ٦٧] .

مدبولي٢٠٠٤م. ص ٢٩٠). ولمزيد من التفاصيل حول الحجج الإسلامية بشأن سلامة نقل القرآن وتواتره انظر : ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ،٢/٢١٣– ٢١٧ . وانظر أيضًا: القاضي عبد الجبار بن أحمد (ت٤٠٣هـ)، المغني في أبواب التوحيد والعدل، تحقيق:أمين الخولي، مطبعة دار الكتب ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م، ١٦/٩، ١٥٦، ١٥٧، ٣٤٢– ٣٤٤. وانظر أيضًا:أبو بكر الباقلاني، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، نكت الانتصار لنقل القرآن، تحقيق:د.محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف، الإسكندرية د.ت، ص٥٩– ٦٥.

(١) انظر: .د.محمد خليفة حسن، علاقة الإسلام بالأديان الأخرى، مركز الدراسات الشرقية،القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٣٤ – ٣٥ .

(٢) انظر: محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١ ، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م. ٦/ ١٧٢ – ١٧٣. وانظر أيضًا: د. محمد حسين الذهبي، الإسرائيليات في التفسير والحديث، مكتبة وهبة – القاهرة ، ١٩٩٠م ، ص ١٠ .

(٣) انظر: فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١ ، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م ، ١١/ ١٨٥ .

- الهيمنة بمعنى الرقابة؛ فباعتبار أن القرآن الكريم آخر الكتب الموحي بها، والذي سلم من التحريف يكون رقيبًا على الكتب السابقة يحدد الصحيح فيها من غير الصحيح، فهو المعيار النقدي الذي على أساسه يمكن التعرف على بقايا الوحي في الكتب السابقة، وتحديد ما لا ينتسب منها إلى الوحي.

- الهيمنة بمعنى الشهادة؛ فالقرآن الكريم شاهد على أن الكتب السابقة، في أصلها، حق من عند الله، فما اتفق منها مع القرآن، فهو ذو أصل إلهي، وما يخالفه فهو تحريف بشري يعود إلى مصدر إنساني يشوبه التناقض والخلط، فالتناقض والخلط لا يمكن أن يكون من عند الله، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢].

- الهيمنة بمعنى الحفظ؛ فقد حافظ القرآن الكريم على المعتقدات الدينية الصحيحة في الأديان السابقة بعد أن ضيع أهل تلك الأديان النصوص المقدسة التي وصلت عن طريق الرسل والأنبياء، وبهذا فقد حفظها القرآن على مستوى المعنى بعد أن ضاعت على مستوى النص، كما أشار القرآن أيضًا للتغييرات التي طرأت على الكتب السابقة، وعبر عنها فيما يمكننا اعتباره نقدًا دينيًّا وأخلاقيًّا.

- الهيمنة بمعنى الائتمان؛ أي أن القرآن أمين على الكتب السابقة ومؤتمن عليها من الضياع بما ورد فيها من صحيح، ويثبت نزولها على الرسل الذين اختصوا بها. وفي نفس الوقت هو الفرقان الفاصل بين الحق والباطل فيها، كما يعد النسخ جزءًا لا يتجزأ من علاقة القرآن الكريم بالكتب والرسالات السابقة، وذلك نظرًا لاحتوائه وإحاطته بكل ما سبق فاشتمل على أصولها وعلى الصالح فيها، ونبه على السقيم والمحرف، وخلاصة القول فإن «الهيمنة» بدلالاتها السابقة يمكن أن تمثل جوهر موقف القرآن الكريم من التوراة والكتب السابقة، وكما لاحظنا فإن هذه الدلالات لا تحتوي على مفاهيم السيطرة والفرض والإجبار، وإنما هي تلقي الضوء على الكتب السابقة وتقدم لأصحابها صورة واضحة عن حقيقتها، صحيحها، وفاسدها، ثم تتركهم لعقولهم يختارون بين الصحيح والخاطئ، وبين الكامل والناقص دون قهر أو تعسف(١).

(١) انظر : د.محمد خليفة حسن، علاقة الإسلام بالأديان الأخرى، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة،٢٠٠٣م، ص ٣٥ – ٤١ .

ب – موقف علماء المسلمين من التوراة:

رغم أن المصدر الذي استقى منه علماء المسلمين موقفهم من العهد القديم واحد؛ وهو القرآن الكريم والذي أكد في أكثر من موضع على تحريف الكتب السماوية السابقة، إلا أن النظرة المجتزئة لنصوص القرآن الكريم المتعلقة بهذا الأمر من ناحية، وقلة الإلمام بالنصوص الكتابية لدى بعض علماء المسلمين من ناحية أخرى قد أدت إلى تباين مواقفهم من قضية التحريف وطبيعته.

ويمكننا أن نميز في هذا المقام بين ثلاثة مواقف:

الموقف الأول: يذهب أصحابه إلى أن التحريف وقع في التأويل وليس في التنزيل، أي: أن اللفظ باقٍ على ما هو عليه وأن التحريف وقع في المعنى، وهو موقف «طائفة من أئمة الحديث والفقه والكلام..» وهذا مذهب البخاري. قال في صحيحه: «يحرفون الكلم عن مواضعه» يزيلون وليس أحد يزيل لفظ كتاب من كتب الله تعالى، ولكنهم يتأولونه على غير تأويله[(1)]، ويستدل هذا الفريق بالآيات القرآنية التالية: قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المائدة:٤٤]، وفي قوله تعالى: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٤٣]، وفي قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ

---

(١) انظر: أحمد أمين، ضحى الإسلام، مكتبة الأسرة،٢٠٠٢م، ص٣٤٤- ٣٤٥، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، ٩/ ١٥٩ وبالنسبة لموقف البخاري فقد أورد في صحيحه في مواضع عدة أحاديث تشير إلى تحريف التوراة على نحو صريح مثل الحديث «حدثنا يحي بن كثير حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيه ﷺ أحدث الأخبار بالله تقرءونه لم يشب، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب فقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلاً؟ أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم؟ لا والله ما رأينا منهم رجلاً قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم. صحيح البخاري، الحديث رقم ٢٦٨٥، ٣/ ١٨١.

أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [النساء: ٤٧]، كما ينتمي لهذا الفريق كل من الجاحظ وابن تيمية، حيث يذهب الأول إلى أن السبب وراء وقوع اليهود في التشبيه والتجسيم: سوء التأويل، وسوء الترجمة، وليس تبديل ألفاظ التوراة، وأنه «لو كانت لهم عقول المسلمين ومعرفتهم بما يجوز في كلام العرب، وما يجوز على الله مع فصاحتهم بالعبرانية لوجدوا لذلك الكلام تأويلاً حسنًا، ومخرجًا سهلاً ووجهًا قريبًا»(١). أما ابن تيمية فإنه يستدل بالآية: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٤٣]، ليذهب إلى: «أن التوراة التي كانت موجودة بعد خراب بيت المقدس بعد مجيء بختنصر وبعد مبعث المسيح وبعد مبعث محمد ﷺ فيها حكم الله»(٢)؛ ولهذا فإنه يرى أن التبديل إما أنه وقع في المعنى دون اللفظ فيقول: «فإن اليهود بدلوا معاني الكتاب الأول، وكذبوا بالكتاب الثاني»(٣) ويقصد بالكتاب الثاني؛ الإنجيل، أو «أن ما وقع من التبديل قليل والأكثر لم يُبدل»(٤).

أما الموقف الثاني: فيذهب أصحابه إلى إثبات وقوع التحريف في اللفظ والمعنى مع الإقرار ببقاء بعض بقايا الوحي أبقاه الله خزيًا لهم وتبكيتًا، بتعبير ابن حزم، وأن المعيار في التفرقة هو القرآن الكريم ومنهجه، فما خالفه فهو تحريف وما وافقه فهو من بقايا الوحي، ويمثل هذا الفريق كل من ابن حزم الأندلسي، والسموأل بن يحي المغربي(٥)، والقرافي(٦)، والشيخ رحمة الله الهندي(٧) (ت: ١٣٠٨هـ - ١٨٩١م).

ونظرًا لأن هذه الدراسة تنصب على ابن حزم فسأحاول توضيح موقفه كنموذج لهذا الموقف، خاصةً وأنه يمكننا أن نقول إن نظرته لقضية التحريف جاءت متسقة ومتناغمة مع

---

(١) انظر: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المختار في الرد على النصارى، ص٧٤-٧٩.
(٢) انظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، مطابع المجد، الرياض، د.ت، ١/٣٦٨.
(٣) السابق ١/٣٦١ .
(٤) السابق ١/٣٧٨.
(٥) انظر: السموأل بن يحي المغربي، إفحام اليهود ، تحقيق : د.محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل –بيروت، مكتبة الزهراء– القاهرة ، ط٣ ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .١٣٢ – ١٤٥ .
(٦) انظر: القرافي، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، ص ١٤٥ – ١٥٣ .
(٧) انظر : الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي، إظهار الحق، دراسة وتحقيق وتعليق: د.محمد أحمد خليل ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – الرياض ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .٢ / ٤٢٩ – ٤٨٤.

الرؤية الشاملة لآيات القرآن الكريم بهذا الصدد، وضمن مفهوم الهيمنة القرآنية على الكتب السابقة، كما أن دراسته المعمقة لهذه الكتب والاحتكاك المباشر بنصوصها كفل له نظرة أكثر عمقًا واستيعابًا[1].

وهو يعبر عن موقفه هذا قائلاً: «أما إقرارنا بالتوراة والإنجيل فنعم. إنما قلنا أن الله تعالى أنزل التوراة على «موسى» -عليه السلام- حقًّا، وأنزل الزبور على «داوود» -عليه السلام- حقًّا، وأنزل الإنجيل على«عيسى» -عليه السلام- حقًّا، وأنزل الصحف على«إبراهيم» -عليه السلام- حقًّا، وأنزل كتبًا لم تسم لنا على أنبياء لم يسموا لنا حقًّا، نؤمن بكل ذلك، قال الله تعالى: ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦]. وقلنا ونقول: «إن كفار بني إسرائيل بدلوا التوراة والزبور فزادوا أو نقصوا، وأبقى الله تعالى بعضها حجةً عليهم كما شاء»[2]، أي: أن ابن حزم وضع معيارًا للحكم على ما فيها من تبديل وعلى ما بقي من وحي، وهو القرآن الكريم والسنة الصحيحة الثابتة فيقول: «ما نزل القرآن والسنة عن النبي ﷺ بتصديقه صدَّقنا به، وما نزل النص بتكذيبه، أو ظهر كذبه كذَّبنا به، وما لم ينزل نص بتصديقه أو تكذيبه وأمكن أن يكون حقًّا أو كذبًا لم نصدقهم ولم نكذبهم، وقلنا: ما أمرنا رسول الله ﷺ أن نقوله «في إشارة منه إلى الحديث (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد)»[3]، ولعل أهم ما اعتبره ابن حزم من بقايا الوحي السابق البشارات بالنبي محمد ﷺ، ويبرر استدلاله على نبوة النبي الكريم بما ورد في ذلك من التوراة والإنجيل «فإن الله تعالى كف أيديهم عما شاء إبقاءه من ذينك الكتابين حجةً عليهم»[4]؛ ولذلك فهو يستخدم عبارات من قبيل «قال الله تعالى فيها» عند إشارته للبشارات بنبوة محمد ﷺ في التوراة[5]، ويصف تلك الآيات بأن الله تعالى أبقاها خزيًا وتبكيتًا لهم.

---

(١) انظر:
CAMILA ADANG,MUSLIM WRITERS ON JUDAISM AND THE HEBREW BIBLE FROM IBN RABBAN TO IBN HAZM, p٢ ,٣ .

(٢) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ١/ ٣١٩.

(٣) انظر: المصدر نفسه ،١/ ٣١٩ .

(٤) انظر: المصدر نفسه،١/ ٣١٥.

(٥) انظر: المصدر نفسه ،١/ ١٩٤.

وقد رد ابن حزم على أصحاب الموقف الأول الذي ذهب إلى أن أكثرها باقية على ما أنزلها الله تعالى عليه، فقال: «وبلغنا عن قوم من المسلمين ينكرون بجهلهم القول بأن التوراة والإنجيل اللذين بأيدي اليهود والنصارى محرفان، وإنما حملهم على هذا قلة اهتبالهم بنصوص القرآن والسنن، أترى هؤلاء ما سمعوا قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:١٤٦]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨]، وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣]»، ويحتج ابن حزم على هذا الفريق من المسلمين الذاهب إلى أن نقلهم نقل تواتر يوجب العلم وتقوم به الحجة، بأنهم في هذه الحالة لابد أنهم لا يختلفون معهم في أن ما نقلوه من ذلك عن «موسى» و«عيسى» -عليهما السلام- لا ذكر فيه لمحمد ﷺ أصلاً، ولا إنذار بنبوته وإن خالفوهم في هذا الأمر، فمن الباطل أن يكون نقل واحد جاء مجيئًا واحدًا بعضه حق وبعضه باطل، فقد تناقضوا، و يخلص قائلاً: «ويكون السؤال عليهم كلهم حينئذٍ واحدًا فيما أوضحناه من تبديل الكتابين وما أوردناه مما فيهما من الكذب المشاهد عيانًا مما لم يأت نص بأنهم بدلوهما لعلمنا بتبديلهما يقينًا، كما نعلم ما نشهده بحواسنا مما لا نص فيه فكيف وقد اجتمعت المشاهدة والنص؟!»(١).

وبالنسبة للآيات التي استدل بها الفريق الأول فإن ابن حزم يفهمها فهمًا متكاملاً مع الآيات التي تؤكد ما وقع من تحريف وتبديل في التوراة والإنجيل، متمثلاً مفهوم «الهيمنة القرآنية»؛ لذلك فهو يقول: «وأما قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا﴾ [النساء: ٤٧] فنعم، هذا عموم قام البرهان على أنه مخصوص، وأنه تعالى إنما أراد مُصدقًا لما معكم من الحق لا يمكن غير هذا؛ لأننا بالضرورة ندري أن معهم حقًا

---

(١) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ١/٣١٨.

وباطلاً، ولا يجوز تصديق الباطل البتة، فصح أنه إنما أنزله تعالى مصدقًا لما معهم من الحق، وقد قلنا: إن الله تعالى أبقى في التوراة والإنجيل حقًّا ليكون حجة عليهم وزائدًا في خزيهم»(١) .

أما الآيات في سورة المائدة المتعلقة بأن التوراة فيها حكم الله: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٨] ، فإن ابن حزم يفسر إقامتها على النحو التالي : «فليسوا على شيء إلا الإيمان بمحمدﷺ فيكونون حينئذٍ مقيمين للتوراة والإنجيل، كلهم يؤمنون حينئذٍ بما أنزل الله منهما وُجد أو عُدم، ويُكذبون بما بدل فيها مما لم ينزله الله تعالى فيهما، وهذه هي إقامتهما حقًّا»(٢)، وبالنسبة لقوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ ...﴾ [المائدة: ٤٤] فإنها تختص بالتوراة «قبل حدوث التبديل، هذا نص قولنا في هذه الآية أنها لم تبدل بعد ذلك أصلاً، لا بنص ولا بدليل»(٣).

والحقيقة أن الموقف الأول والذي يمكن وصفه بأنه غير محدد و غير واضح من التراث الإسرائيلي السابق، قد أتاح الفرصة لتسرب العديد من التراث الإسرائيلي إلى التفاسير القرآنية و قصص الأنبياء دون تمحيص ودون مراعاة مفهوم الهيمنة القرآنية، فنجد الإمام ابن كثير، على سبيل المثال، يعدل نسب إبراهيم –عليه السلام– ليجعله متفقًا مع المادة التوراتية ، فيقول: «هو إبراهيم بن تارح بن ناحور ...»(٤) مع أن ما ورد بصدد نسب إبراهيم –عليه السلام– في القرآن الكريم واضح، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ...﴾[الأنعام:٧٤]، ويقول: إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه آزر وإنما كان اسمه تارح، محكّمًا الرواية التوراتية على القرآن! ويورد هذا القول منسوبًا لابن عباس عن طريق الضحاك، ومن العجيب حقًا أن

---

(١) المصدر نفسه، ٣١٧/١.

(٢) المصدر نفسه، ٣١٦/١.

(٣) المصدر نفسه، نفس الصفحة .

(٤) انظر : ابن كثير(متوفى ٧٧٤ هـ)، قصص الأنبياء ، تحقيق : بكر محمد إبراهيم ، المكتبة المحمودية– القاهرة، د.ت ، ص ١٠٣ . وانظر –أيضًا–لابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: إبراهيم محمد الجمل، دار القلم، القاهرة، د.ت،٢/ ١٨١.

يورد بعض المفسرين في معرض تفسيرهم للآيات المتعلقة بالأنبياء -عليهم السلام- قصصًا توراتية تنسب إليهم الرذائل[1]، دون مراعاة للمنهج القرآني الذي يؤكد على عصمتهم عن الكبائر والفواحش.

ومن السلبيات الأخرى لهذا الموقف المتساهل من الإسرائيليات، والبعيد عن الالتزام بمفهوم الهيمنة القرآنية أنه سمح لأصحاب الموسوعة اليهودية وغيرهم من المستشرقين إلى أن يذهبوا إلى أن: «الأدبيات الإسلامية في مرحلة ما بعد القرآن قامت بتصحيح الروايات التوراتية في القرآن، بهدف توضيح المواضع المبهمة والغامضة ، وتصحيح أسماء الشخصيات والأماكن المذكورة على نحو خاطئ في القرآن، أو تلك التي تم الإلماح إليها فقط دون تفصيل، وإكمال ما تم حذفه»[2].

---

(١) انظر: د.محمد حسين الذهبي، الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص١٠٤.

(٢) ENCYCLOPAEDIA JUDAICA , ١\٣٩٠ .

في مادة " BIBLE AND ISLAM "

ثانيًا: الأسس العامة التي يمكن استنباطها من القرآن الكريم لنقد التوراة:

أرسى القرآن الكريم قاعدة أساسية لتمييز الوحي الإلهي عن النص البشري، ألا وهي قاعدة اختلاف النص أو تناقضه مع بعضه البعض، وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢]. ولذلك وُصفت التوراة بالاختلاف، باعتبار أنها تحولت عبر التحريف وتدخل اليد البشرية فيها بالإضافة والحذف والتغيير إلى نص بشري أو مختلط، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ [هود١١٠].

واستفاد علماء الأديان المسلمين من هذه القاعدة؛ فنجد علي بن ربن الطبري في القرن الثالث الهجري، يقول: «إذا ورد على ذي الفهم واللب خبر من الأخبار تدبره نعمًا، وقلبه ظهر البطن، فإن وجد مبطله فيه ومكذبه معه أو وجده مخالفًا لكتب ديانة القوم، لم يحتج في تكذيبه وكشف عورته وعوراه إلى غيره، وكان في سرعة وجدان الحق شفاء للقلب»(١)، ونجد ابن حزم أيضًا ينطلق من هذه القاعدة القرآنية أثناء تمحيصه للتوراة، فيعلق على تناقض التوراة مع بعضها البعض، وتكاذب أجزائها فيقول: «فمثل هذا من التكاذب لا يجوز أن يكون من عند الله عز وجل أصلاً، ولا من قول نبي البتة»(٢).

- **التحريف:** والتحريف لغةً: إمالة الشيء، وتحريف الكلام جعله على حرف من الاحتمال يمكن حمله على الوجهين، والتحريف أيضًا التعديل وصرف الشيء عن معناه(٣). وقد تحدَّث القرآن الكريم عن تحريف التوراة في أربعة مواضع، قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٧٥]. قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَـٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء:٤٦]. وقال

---

(١) علي بن ربن الطبري، الدين والدولة ..، ص٤٥.

(٢) ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل،٢/٢٣.

(٣) انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مراجعة: محمد خليل عقباني، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، وانظر أيضًا: أبو الفضل جمال الدين، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م، ٩/٤٣.

تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة:١٣]. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:٤١].

ويمكننا القول إن التحريف هو التغيير والتبديل، والتحريف إما أن يكون في اللفظ أو في المعنى؛ وذلك بإبدال كلمة مكان كلمة مع المحافظة على الشكل اللفظي باستبدال حرف مكان حرف أو مقطع مكان مقطع أو تغيير كلمة مكان أخرى، وفي حالة عدم التمكن من إجراء التغيير اللفظي يتم تغيير المعنى على مستوى التفسير وهو تغيير معنوي(١)، وحمل التحريف على تغيير اللفظ أولى من حمله على تغيير المعنى -في رأي الرازي-؛ «لأن كلام الله تعالى إذا كان باقيًا على جهته، وغيروا تأويله، فإنما يكونون مغيرين لمعناه لا لنفس الكلام المسموع»(٢).

وقد فرَّق الرازي بين «تحريف الكلم عن مواضعه»، وبين «التحريف من بعد مواضعه»، على النحو التالي: أن المقصود بالتحريف في الأولى ذكر التأويلات الفاسدة والباطلة للنصوص، أما المقصود بالثانية إخراج اللفظ من الكتاب أي: حذفه، فالمقصود من بعد مواضعه؛ أي: من بعد أن وضعه الله مواضعه، وفرض فروضه، وأحل حلاله، وحرم حرامه(٣).

وهكذا فقد أشار القرآن -بشكل واضح- إلى حدوث التحريف اللفظي والمعنوي في التوراة وأنه تحريف قام به عن قصد كتبة التوراة والكهنة، وقد أشار بعض أنبياء بني إسرائيل إلى هذا التحريف المتعمد؛ فنجد إرميا يقول: «كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا،

---

(١) انظر: د.محمد خليفة حسن، د.أحمد هويدي، اتجاهات نقد العهد القديم، ص٣٩.
(٢) انظر: فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، المجلد الثاني ٣٠/ ١٢٣.
(٣) المصدر السابق، المجلد السادس، ١١/ ١٨٣- ١٨٤.

حقًّا إنه إلى الكذب حولها قلم الكتبة الكاذب» (إرميا ٨:٨). ويقول في موضع لاحق: «إذ قد حرفتم كلام الإله الحي رب الجنود إلهنا» (إرميا ٣٦:٢٣). فهو يشير -بوضوح- إلى التعديلات التي أدخلها الكتبة في نص التوراة وأبعدوها عن مسارها الصحيح(١).

فمن المعروف أن العمل في التوراة -بالتعديل والتبديل- لم يتوقف على مر أجيال كثيرة من الكتبة والمترجمين -والذين استمر عملهم منذ عصر عزرا الكاتب (حوالي القرن الخامس ق.م) وحتى ٥٠٠م- ونتج عن هذا العمل المتواصل عدد كبير من الأخطاء الكتابية، والتي نتجت عن تناقل النص أثناء القراءة أو السمع، أو النقل، أو الكتابة، والتي تمثل أخطاءً غير متعمدة، بالإضافة إلى التعديلات المتعمدة بالحذف أو بالإضافة أو التبديل(٢).

ولقد طبق علماء المسلمين هذه القاعدة على نصوص التوراة؛ فنجد ابن حزم يشير إلى تحريف إحدى روايات سفر الخروج، المتعلقة بأعداد بني إسرائيل في مصر، فيقول: «فدلَّ ذلك على أنها كتب محرَّفة من تحريف فاسق سخر بهم»(٣).

وقد قدَّم القرآن الكريم للناقد المسلم صورًا عديدة لوسائل إحداث التغيير في نص التوراة(٤) وهي:

١- التبديل: والتبديل لغةً: هو جعل الشيء مكان آخر، والتبديل قد يقال للتغيير مطلقًا، وإن لم يأت ببدله(٥). وقد أشار القرآن لهذه الوسيلة في المواضع التالية؛ قال عز وجل: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ [البقرة:٥٩]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف:١٦١]، قال تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٢]، وارتبطت هاتان

(١) انظر: د.أحمد هويدي، د.محمد خليفة حسن، اتجاهات نقد العهد القديم، ١٥.
(٢) المصدر السابق: ص ١٢٦، ١٢٧، ١٣٢.
(٣) انظر: ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ١/ ٢٦٩.
(٤) انظر: أ.د محمد خليفة حسن، علاقة الإسلام باليهودية، ص٥١- ٥٥، انظر أيضًا: د.محمد علي البار، المدخل لدراسة التوراة، ص١١٢، ١١٧، ١٢٠.
(٥) انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، د.ط، ص٥٠.

الآيتان بسلوك اليهود تجاه الأمر الإلهي بدخول القرية، وذهب الرازي إلى أن التبديل -هنا- يحتمل قولين:

١- أنهم لم يفعلوا ما أُمِروا به، لا على أنهم أتوا ببدل، وهو قول جمهور المفسرين.

٢- أن المراد من التبديل أنهم أتوا له ببدل.

ويذكر الرازي أن التبديل كان هو الكيفية التي كان يتم بها التحريف، وأنهم كانوا يبدلون اللفظ بلفظ آخر(١).

وقد استخدم ابن حزم مصطلح التبديل في عدة مواضع منها: نقده لادِّعاء التوراة بامتلاك بني إسرائيل الأرض من الفرات إلى النيل (التكوين١٥: ١٨- ٢١)، فيقول: «وصحَّ أنه ليس من عند الله -عز وجل- ولا من كلام نبي أصلاً، بل من تبديل وغد جاهل كالحمار بلادة...»(٢). وأيضًا في معرض نقده لرواية مصارعة يعقوب للرب فيقول: «هذه مصائب شاهِدة بضلالهم وخذلانهم وصحة اليقين بأن توراتهم مبدلة»(٣).

٢ - لِيُّ الألسنة: والليُّ لغةً: عطف الشيء، ورده إلى الاعوجاج، و لوى لسانه بكذا كناية عن الكذب وتخرص الحديث (٤). وهي إحدى وسائل التحريف التي أشار القرآن إلى استخدامها من قبل اليهود، ونسب كلامهم البشري إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٨].

كما أشار القرآن إلى أن هذا المسلك المنحرف قد استمر على عهد النبي ﷺ، فكانوا يلوون ألسنتهم معه ليقولوا كلمة ظاهرها حسن وباطنها سيء، مثل قولهم للنبي: «واسمع غير مسمع»، وقولهم: «راعنا» فظاهر الكلام حسن، وباطنه قبيح حيث يتهمونه -عليه الصلاة والسلام- بالرعونة، وإنك تسمع قومًا لا يسمعونك لتفاهة كلامك(٥)، وذلك ما أشارت إليه الآيات؛ قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا

---

(١) انظر:الرازي، مفاتيح الغيب،٣ /٨٥.

(٢) ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل،٢١٨/١.

(٣) المصدر السابق، ص٢٣٣.

(٤) انظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص٤٦٠.

(٥) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، المجلد ٤، ٩٢/٨-٩٥. وانظر أيضًا: محمد علي البار، المدخل لدراسة التوراة، ص١٢٢.

وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء:٤٦].

قال القفال: «قوله: ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم﴾ معناه أن يعمدوا إلى اللفظة فيحرفونها في حركات الإعراب تحريفًا يتغير به المعنى، وهذا كثير في لسان العرب، فلا يبعد مثله في العبرانية»[١]. ويشير الرازي إلى أن تغيير ألفاظ التوراة، وإعراب ألفاظ يجب أن يكون تم على يد طائفة يسيرة يجوز التواطؤ منهم على الكذب، ويبدو أنها طائفة الكتبة التي أشرنا إليها من قبل، والتي قامت بإجراء تعديلات كبيرة على النص الأصلي[٢].

٣- **الإخفاء، والكتمان:** قال تعالى: ﴿ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ [الأنعام:٩١]، فقد أشار القرآن الكريم إلى قيام الكهنة وعلماء بني إسرائيل بإخفاء بعض نصوص التوراة عن عمد، وارتبط بالإخفاء وسيلة أخرى من وسائل التحريف وهي الكتمان، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٤٦].

وقد أشار علماء العهد القديم إلى أن آباء الدين القدامى قاموا بعزل بعض نصوص العهد القديم، وإيداعها في مخازن تخفيها عن أعين الجمهور، وهي ما يسمونه بـ«النصوص المخفيَّة»، ومن أهم الأسباب التي قيلت حول هذا:

١- أنها لا تحمل روح الكلام الموحى به من الله، وكتب الأنبياء المعتبرين، وذلك على الرغم من أنهم ثبتوا ضمن النصوص الشرعية سفر الجامعة ونشيد الأناشيد وغيرها من النصوص التي هي في حقيقتها أبعد من أن تكون عن روح الكلام الموحى به من الله!!.

٢- أنه انفردت بروايتها وكتابتها طوائف منشقة على اليهودية الرسمية، وحرَّم علماء الشريعة اليهودية استعمالها أو قراءتها أو الرجوع إليها[٣]، ومن أهم المفاهيم الدينية التي تعرضت للإخفاء: عقيدة البعث أو اليوم الآخر والتي لا يوجد لها أي أثر في الأسفار الخمسة

---

(١) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، المجلد الرابع، ٨/ ٩٤.

(٢) انظر: د.محمد خليفة حسن، ود.أحمد هويدي، اتجاهات نقد العهد القديم، ص١٣٣، ولمزيد من التفاصيل حول بعض هذه التعديلات انظر الصفحات من١٣١- ١٣٣ من نفس المرجع.

(٣) د. حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه، دار القلم، دمشق،١٤٢٠هـ -١٩٩٩م، ص٦٣- ٦٤.

الأولى، وتتواجد بشكل مشوش في أسفار الأنبياء. وهو ما سيرد تفصيله في موضع لاحق إن شاء الله.

وبالنسبة للكتمان، فقد تركز اهتمام علماء الإسلام بقضية البشارة بالنبي ﷺ، حيث أكدوا على أن أهم ما قام علماء اليهود بكتمانه هو البشارة بمحمد ﷺ(١)، الذي أكّد القرآن على وجودها في كتبهم الأصلية، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٧].

٣- تلبيس الحق بالباطل: واللبس لغةً: هو ستر الشيء ويُقال ذلك في المعاني، ويُقال لابست فلانًا خالطته(٢). قال تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٤٢]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران:٧١]، والمقصود هنا لا تخلطوا وتمزجوا الحق بالباطل لتخفوا الحق، أو لا تشتروا الباطل بالحق لتجعلوه معمى مشكوكًا فيه، فالآيات تشير إلى تشويش دلائل الحق عن طريق إلقاء الشبه، ويقول الرازي: «إن لبس الحق بالباطل يحتمل وجوهًا منها:

أ- تحريف التوراة، فيخلطون المنزَّل بالمحرَّف.

ب- التواضع على إظهار الإسلام أول النهار ثم الرجوع عنه في آخر النهار تشكيكًا للناس...»(٣).

ويقول الزمخشري: «إن المعنى: ولا تكتبوا في التوراة ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم، حتى لا يُميز بين حقها وباطلكم»(٤). وقد استخدم ابن حزم لفظ

(١) ولمزيد من التفاصيل حول البشارة بمحمد ﷺ في العهد القديم، انظر: علي بن ربن الطبري، الدين والدولة. وأيضًا:أحمد ديدات، ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد ﷺ، ترجمة: مجدي محمد عبد الرحمن، دار لاعتصام، القاهرة، د.ت، أيضًا: ريمة شريف الصياد، «حوار حول العقيدة بين المسلمين وأهل الكتاب حتى نهاية القرن الثالث الهجري في بلاد الشام والعراق» رسالة ماجستير، إشراف أ. د.عبد الحميد مدكور، دار العلوم، جامعة القاهرة،١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ص٣٦١- ٣٨٠.

(٢) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص٩٥.

(٣) الرازي، المجلد الثاني،٤/ ٤٠- ٤٢، وأيضًا: المجلد الخامس،٩/ ١٠٦.

(٤) أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،

«اللبس والتلبيس»؛ لبيان الاختلاط الحادث في التوراة في معرض نقده لقصة العجل وغيرها من القصص التوراتي التي اختلط فيها المصدر الإلهي بالمصدر البشري(١).

٣- تعطيل الأحكام: وهي إحدى صور تحريف الشرائع الإلهية، وقد أشار القرآن الكريم إلى تعطيلهم الأحكام في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٦٦]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٨].

وعبَّر القرآن الكريم عن ذلك التعطيل بالنسيان المتعمد، وذلك عند حديثه عن تعديهم على حرمة يوم السبت، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف:١٦٥]، وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣]، وكان هذا عرضًا مختصرًا لما يمكننا أن نسميه بالأسس العامة، التي أرساها القرآن الكريم لنقد التوراة، والتي رصد فيها لأشكال التحريف المختلفة، التي مارسها اليهود تجاه كتابهم المقدس، وسأحاول خلال السطور القادمة، تتبُّع نماذج من النقد القرآني للتوراة، والذي يمكننا اعتباره تطبيقًا لهذه القواعد.

تحقيق: عبد الرازق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ١٩٩٧م. ١/ ٣٩٩.

(١) ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ١/ ٢٠٥ - ٢٥٧.

ثالثا: نماذج من نقد القرآن الكريم للتوراة المحرفة وسلوكيات اليهود:

١ - نقد القصص التوراتي:

يمكن اعتبار قصص الأنبياء في القرآن الكريم مقياسًا نقديًا للقصص التوراتي، حيث يعد جزءًا لا يتجزأ من رسالة القرآن الكريم النقدية الموجهة لكتب اليهود المتهمة قرآنيًا بالتحريف والتبديل(١)، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل:٧٦]، وقد ورد لفظ «قصص» في القرآن الكريم في عدة مواضع منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:٦٢]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف:١١١]، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [غافر:٧٨].

وقص الأثر: تتبعه، وقص الخبر: أعلمه، ونحن نقص عليك أحسن القصص أي: نبين لك أحسن البيان(٢). ويتسم المصطلح القرآني للقصص بالبعد الواقعي، على خلاف البعد الأسطوري الخرافي الذي اتسمت به قصص العهد القديم(٣)، قال تعالى: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف:١٣]، ويأتي في مقابل القصص القرآني، في هذا المقام، قصص العهد القديم أو الهاجادا "Hajada" والتي تشير إلى حكايات وقصص مستمدة من كتاب العهد القديم، والتي ظلت لفترة طويلة ضمن التراث الشفهي ولم تخضع للتدوين والكتابة إلا في فترة متأخرة، وظلت متناثرة في مصادرها المتعددة التي من بينها التلمود الفلسطيني والتلمود البابلي اللذان اختلطت فيهما مادة هذا القصص مع مادة المناقشات التشريعية التي تكون صلب التلمود، وقد بدأت عملية ترتيب هذه المادة،

---

(١) انظر: أ.د.محمد خليفة حسن، مقدمة الكتاب «قصص اليهود»، لويس جنزبرج، ترجمة: جمال الرفاعي، ص٢٧.

(٢) انظر: الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: محمد البقاعي، دار الفكر - بيروت، ١٩٩٥م، ص٣١٥.

(٣) قصص اليهود، مرجع سابق، ص٣٠.

وحفظها في شكل مكتوب منذ عصر التنائيم، ولم يتم تدوين أي عمل هاجادي قبل القرن الرابع الميلادي، وانتهى تدوين الميدراشيم المشتملة على الهاجادا مع نهاية القرن العاشر الميلادي.

واللافت أن بعض أخبار الأنبياء التي وردت في قصص الهاجادا تتشابه مع ما ورد في القرآن الكريم، الأمر الذي يشير إلى أن المادة القديمة لهذه القصص قد استبعدت ولم تدون في العهد القديم، ولم تضم إلى التوراة في شكلها المكتوب، وخضعت لعمليات الحذف التي تعرضت لها مادة التوراة قبل أن يتم تدوينها في القرن الخامس قبل الميلاد، وظهور هذه المادة في بعض المصادر اليهودية المتأخرة خارج حدود العهد القديم، وظهورها في القرآن الكريم من ناحية أخرى يجعلنا نحكم عليها بأنها من بقايا الوحي الذي ضاع من خلال عمليات الحذف والتحريف والتبديل، فتحولت هذه المادة من مادة وحي واجبة الظهور في التوراة إلى مادة شفوية إلى أن استقرت في أحد المصادر اليهودية المتأخرة وضمت إلى مادة الهاجادا(١).

وهناك محاور رئيسية يدور حولها نقد القصص القرآني، للقصص التوراتي، والذي يعد تصحيحًا للتحريف الذي تعرضت له هذه القصص في العهد القديم:

١ - التركيز على «التوحيد» كجوهر كل رسالات الأنبياء، فقد أكد قصص الأنبياء في القرآن الكريم على وحدة الأنبياء، ووحدة رسالاتهم، فهم يكونون سلسلة متتابعة تحمل رسالة واحدة هي رسالة التوحيد، وهدفهم واحد هو نبذ الوثنية والشرك، والدعوة إلى الإصلاح الديني، وتحسين الأوضاع السياسية والاقتصادية والأخلاقية للبشرية (٢)، وعلى العكس من ذلك فإن قصص العهد القديم لا تتحدث إلا عن أنبياء بني إسرائيل انطلاقًا من مبدأ عدم الاعتراف بالنبوة خارج إسرائيل، فرسالات بني إسرائيل لا تخص الإنسانية عامة، ولا تستهدف البشرية التي خلقها الإله وإنما فقط تستهدف شعبه المختار، ولذلك فإن قصص العهد القديم لا تركز أبدًا على التأكيد على رسالة التوحيد كمحور للأحداث، وإنما المحور الأساسي دائمًا هو تميز بني إسرائيل واختصاص نسلهم بالنبوة، ولذلك فإن محور أحداث قصة إبراهيم-عليه السلام- هو الوعد بالأرض، وتخلو تمامًا من أي إشارة لدعوة إبراهيم

(١) انظر: لويس جنزبرج، قصص اليهود، ترجمة: جمال الرفاعي، مراجعة وتقديم: د.محمد خليفة حسن، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠م، ص١٥، ١٦، ٢٣.

(٢) انظر: أ.د.محمد خليفة حسن، ظاهرة النبوة الإسرائيلية، دار الزهراء للنشر، القاهرة، ١٩٩١م، ص٥.

للتوحيد أو مواجهته للشرك، وتغض الطرف عن سبب خروج إبراهيم من بلده إلى أرض كنعان «فالغاية في النص التوراتي ليست لها أية علاقة بالعقيدة التي حارب من أجلها، إنما لها علاقة بوعد إلهي له بتمليكه ونسله أرض كنعان»(١)، ولا تشعر مع القصة التوراتية أبدًا أنك بإزاء نبي مرسل يدعو الناس إلى سبيل الله، ولقد رفض القرآن هذه النظرة العنصرية لإبراهيم في التوراة والتي تعتبره أبًا لبني إسرائيل وليس نبيًا مرسلاً برسالة التوحيد، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٥-٦٨]، ويقول تعالى: ﴿ أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٠]، وعلى العكس من ذلك فإن القرآن الكريم يركز على دعوة إبراهيم لأبيه وقومه لعبادة الله الواحد وترك عبادة الأوثان التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنهم شيئًا؛ قال تعالى: ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٦]، ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٧].

وأيضًا في قوله: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴾ [مريم: ٤١-٤٨]، ويوضح القرآن السبب وراء هجرة إبراهيم إلى أرض كنعان، ألا وهو النجاة بدينه قال تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾

---

(١) حسن الباش، القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان؟، دار قتيبة، دمشق،٢٠٠٢م،١/١٣٢.

[العنكبوت: ٢٦-٢٧].

ونظرًا لأن إبراهيم -عليه السلام- نبي مكلف بنشر دعوة التوحيد فإن الدافع وراء هجرته هو تكليفه بنشر دعوة التوحيد(١).

٢- تنزيه الأنبياء عن الكبائر، والتأكيد على عصمتهم من الفواحش وسوء الخلق، وحفظ كرامتهم النبوية، وتخليصهم من كل الاتهامات التي وجهتها إليهم أسفار العهد القديم باعتبارها أحد أشكال التحريف والتبديل، التي تعرض لها العهد القديم(٢)، وما نسب إليهم من معاصٍ وسوءات أخلاقية لا تتفق مع سمو رسالتهم وكونهم النموذج والمثال في سمو الأخلاق والرفعة والتعالي عن المساوئ والمعاصي، وقد تراوحت تلك الاتهامات بين الشرك والوقوع في عبادة الآلهة الأجنبية كما في حالة سليمان، وذلك بالزواج من وثنيَّات والسماح بعبادة آلهتهن الوثنية (الملوك الأول ١١: ٥- ٧): «وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داوود أبيه، فذهب سليمان وراء عشتروت إلهة الصيدونيين ....». وقد وضح القرآن الكريم الصورة

(١)انظر: حسن الباش، القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان؟، ١/١٣٣- ١٣٥.
- واللافت أن «قصص الهاجادا» تتشابه في نواح عدة مع المعالم القرآنية للقصة، وإن كانت تشوبها أحيانًا بعض الأسطورية مما يؤكد أنها بقايا وحي تم استبعاده من العهد القديم وإليك بعض الأمثلة على هذا التشابه:
١- قصة اهتداء إبراهيم إلى ربه والتي اختفت تمامًا من العهد القديم، ترد في قصص الهاجادا على النحو التالي: «ووقف الصبي فيما بعد ومضى تاركًا الكهف وسار بمحاذاة الوادي وحينما غربت الشمس وسطعت النجوم.قال: أهذه هي الآلهة...إلخ»، لويس جنزبرج، قصص اليهود، ص١٧٨.
٢- الاتصال مع الإله يكون عن طريق الملائكة والرؤى وليس عن طريق اللقاء المباشر كما في العهد القديم: «فظل يناجي نفسه حتى لاقاه الملاك جبريل مجيبًا بقوله: السلام عليك، فقال إبراهيم وعليك السلام، وسأله: من أنت؟...» لويس جنزبرج، قصص اليهود، ص١٧٨، قارن نفس القصة مع العهد القديم، تكوين١٧: ١- ٢ «ولما كان أبرام ابن تسعة وتسعين وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس عند باب الخيمة...»، أما في الهجادا فيرد الآتي: «وقد أمر الرب إبراهيم من خلال الملاك جبريل...»، لويس جنزبرج، قصص اليهود، ص ١٨٠. كما تظهر قصة إبراهيم مع الملك مدعي الإلوهية. انظر:لويس جنزبرج، قصص اليهود، ص١٧٩- ١٨٦، وإن شابته بعض عناصر الأسطورية، إلا أن هذه القصة ليس لها أي أثر في التوراة، وكذلك قصة تكسيره للأوثان.انظر: لويس جنزبرج، قصص اليهود، ص١٨٣- ١٨٤. واللافت أن رواية الهاجادا عن رحيل إبراهيم من بلده وهجرته إلى كنعان تبرز بشكل واضح كيف أنه إنما خرج منها لينجو بدينه، ولينشر دعوة التوحيد.انظر:لويس جنزبرج، قصص اليهود، ص ١٩٧.
(٢) أ.د.محمد خليفة حسن، مقدمة«قصص اليهود»، ص٢٧.

الحقيقية للنبي الكريم، في عدة مواضع(1)، ووصفه تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَـٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [سورة ص: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة النمل: ١٥].

ومن أشهر الروايات التوراتية في هذا المقام رواية زنا لوط مع ابنتيه (التكوين ١٩: ٣٠- ٣٨)، وقد ذهب علماء نقد العهد القديم إلى أن هذه القصة تعود إلى المصدر اليهوي(2).

وترد القصة في (تكوين ١٩: ٣٦- ٣٨): «وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل، وابنتاه معه ... وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاخ، وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض، هلم نسقي أبانا خمرًا ونضطجع معه، فنحيي من أبينا نسلاً ... فحبلت ابنتا لوط من أبيهما، فولدت البكر ابنًا ودعت اسمه مؤاب وهو أبو المؤابيين إلى اليوم، والصغيرة أيضًا ولدت ابنًا ودعت اسمه...» ويتضح من هذه القصة المحرفة أن ابنتي لوطا قد ولدتا من الزنا أصل شعبي مؤاب وعمون، يقول السمؤال صاحب إفحام اليهود: «إلا أن العداوة التي مازالت بين (بني عمون ومؤاب) وبين بني إسرائيل بعثت واضع هذا الفصل على تلفيق هذا المحال، ليكون أعظم الأخبار ....في حق عمون و مؤاب»(3) وهما الشعبان المجاوران لإسرائيل اللذان طالما ناصبا إسرائيل العداء: «فإن بني عمون وبني مؤاب ما انفكا منذ القديم ينصبان الحرب لبني إسرائيل ويدحرانهم وينزلان بهم أكبر الخسائر، فوجب على كتاب التوراة أن يلصقا بهما أقبح المثالب»(4). ولعل ما يعضد هذا التفسير، هذا النص الذي يعود إلى «قصص الهاجادا»، والذي يشير إلى سبب العداء بين إسرائيل وهذه الشعوب: «أما نسل لوط من عمونين ومؤابين فبدلًا من أن يظهروا عرفانهم لنسل إبراهيم من بني إسرائيل، فقد ارتكبوا أربعة أعمال عدائية تجاههم فسعوا إلى تدمير إسرائيل من خلال لعنات بلعام، وشنوا حربًا عليه في عهدي يفتاح ويهو شافاط»(5).

ويأتي القرآن الكريم مصحِّحًا ومقوِّمًا لِمَا تمَّ تحريفه من سيرة هذا النبي الطاهر، فيسرد

---

(1) انظر: سورة النمل الآيات: ١٥ – ٤٤، وسورة ص: ٣٠ – ٣٩.
(2) ريتشارد فريدمان، من كتب التوراة؟، ص٢١٩.
(3) السموأل بن يحي المغربي،إفحام اليهود، ص ١٥١.
(4) عصام الدين حفني، محنة التوراة على أيدي اليهود، الرسالة- القاهرة ١٩٦٥م، ص ١٨.
(5) لويس جنزبرج، قصص اليهود، ص٢٢٣.

القصص الحق عن قومه وعن طهارته، قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ (النمل: ٥٤- ٥٦)، حيث تؤكد الآيات على طهارة النبي لوط -عليه السلام- وعلى موعظته لقومه وتحذيرهم من إتيان الفواحش والسيئات والمنكرات الأخلاقية، قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ (الأعراف: ٨٠- ٨٤)، و قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ...﴾ (هود: ٧٧-٨٤)، ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ (النمل: ٥٦)، وتؤكد الآيات جميعها على نزاهة نبي الله وطهارته.

ومن القصص النبوية التي تعرَّض القرآن لها بالتصحيح: «قصة هارون -عليه السلام- والعجل الذهبي»، وتشغل هذه القصة الإصحاح **٣٢** من سِفر الخروج، وملخص هذه القصة أنه في الوقت الذي تلقَّى فيه موسى الوصايا العشر على جبل سيناء، صنع هارون عجلاً ذهبيًّا للشعب، وقال أبناء الشعب: «هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك في مصر» (الخروج **٣٢: ٤**)، وقال هارون: «غدًا عيد للرب» (الخروج **٣٢: ٥**)، وقدَّم الشعب القرابين وأقام الاحتفالات، في ذلك الوقت أخبر الرب موسى بما يحدث أسفل الجبل، وقال له: إنه سوف يهلك هذا الشعب، ويخلق شعبًا جديدًا بأن يجعل من موسى أمة كبيرة، ويهبط موسى من الجبل يرافقه يشوع، ويرى العجل وحال الشعب فيحطم الألواح وهو غاضب، وتنتهي القصة بتلك العبارة المتناقضة: «فضرب الرب الشعب؛ لأنهم صنعوا العجل الذي صنعه هارون» (الخروج **٣٢: ٣٥**). والغريب أنه لم يتم معاقبة هارون على فعلته، يقول فريدمان:

«تثير هذه القصة الكثير من التساؤلات...لماذا يصور هارون كزعيم للكفر، وكيف يحدث أن لا يعاقب هارون على فعلته؟»(١)، وينسب النقاد المعاصرين قصة العجل الذهبي «للمصدر الإلوهيمي»(٢)، الذي يعود إلى مملكة إسرائيل الشمالية التي انفصلت بعد موت سليمان عن المملكة الموحدة واتخذت من السامرة عاصمة لها، والتي يعود إليها السامريون كفرقة دينية.

أما القصة في القرآن الكريم فقد وردت في عدة مواضع أهمها: ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٢)، ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ۝٨٥ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ...﴾ [طه ٨٥ – ٩٨]، وتتلخص القصة القرآنية في أن موسى -عليه السلام- ذهب لميقات ربه ليتلقى الوحي وأنه استخلف أخاه هارون على بني إسرائيل قبل ذهابه، في تلك الأثناء صنع لهم السامري من الحلي عجلاً جسدًا له خوار : ﴿فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ [طه: ٨٨]، وتؤكد الآيات في سورة طه على أن هارون حاول أن ينهرهم مرارًا عن عبادة العجل إلا أنهم استضعفوه وكادوا أن يقتلوه، وأن السامري الذي صنع العجل عوقب على فعلته بداءٍ يمنعه من أن يمسه الناس أو يقتربوا منه، وأحرق موسى -عليه السلام- العجل وألقاه في اليم في قوله تعالى:﴿ قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا﴾ [طه: ٩٧](٣).

وهكذا فإن القصة في القرآن الكريم تشكّل ما يمكن اعتباره نقدًا للتحريف الذي لحق بالقصة التوراتية والتي تنسب صناعة العجل لهارون، كما أنها تصححها بالإشارة إلى الفاعل الحقيقي وهو السامري، والذي تم إخفاء شخصيته عمدًا من القصة التوراتية.

وقد أشار فريدمان إلى التشابه بين العبارات الواردة في القصة التوراتية عن العجل

(١) فريدمان، من كتب التوراة؟، ص٦٣.

(٢) انظر: السابق ص٢٢٦.

(٣) انظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ١٨ / ٣٥١ – ٣٦٧ .

الذهبي في سفر الخروج (٣٢ :٨): «هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر» وبين العبارات التي ترد في (ملوك أول ١٢ :٢٨)، والتي تشير إلى أن «يربعام» عقب انفصاله بالمملكة الشمالية صنع عجلين من ذهب وقال للشعب : «هو ذا آلهتك يا إسرائيل الذين أصعدوك من أرض مصر»، ويذكر فريدمان أن مؤلف المصدر الإلوهيمي وضع عبارة يربعام على لسان الشعب حينما قام بتأليف هذه القصة [1] ودمجها في التوراة، ولابد من التساؤل لماذا تم إخفاء شخصية السامري من القصة التوراتية ولصق التهمة بهارون -عليه السلام-؟.

والحقيقة أنه نظرًا لأن القصة تعود للمصدر الإلوهيمي، أي أن كاتبها يعود لمملكة إسرائيل الشمالية -وعاصمتها السامرة- فالواضح أن كاتب القصة أراد إبعاد التهمة عن «السامري» الذي يعود بأصله إلى السامرة، والتي صيغت فيها هذه القصة، عقب انقسام المملكة، ولم يجد غير هارون أحد الشخصيات البارزة في هذه القصة ليلصق به تهمة صناعة العجل، خاصة وأن الدائرة التي يرشح نقاد العهد القديم انتماء المؤلف الإلوهيمي لها تُكِنُّ عداءً واضحًا للهارونيين[2].

ولعل العبارة المتناقضة التي أنهى بها الكاتب القصة تفضح صنيعه بأنه قام بعملية قصٍّ ولصقٍ للقصة الحقيقية، وألبس الحق فيها بالباطل فيقول: «فضرب الرب الشعب لأنهم صنعوا العجل الذي صنعه هارون» (الخروج **٣٢: ٣٥**).

٣- بُعْد القصص القرآني عن التفاصيل غير ذات القيمة والاكتفاء بالخطوط العريضة، والتركيز على المغزى الأخلاقي والموعظة الدينية، ولذلك جاء القصص القرآني متسمًا بالواقعية والبعد عن الخرافة والأسطورة التي اتسم بها القصص في العهد القديم والتي اختلط فيها الواقع باللاواقع، والحقيقي بالأسطوري، وسنأخذ مثلاً على ذلك، قصة الطوفان، فقد اتسمت الرواية التوراتية بالتفصيل والإسهاب ، وتخللتها نزعة أسطورية جعلتها أشبه بأسطورة الطوفان البابلية، حيث يظهر فيها الرب وهو يغضب ويثور ويندم على خلقه للإنسان ويقرر إفناء الإنسان، وتدمير كل خلق الأرض : «ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم، فحزن الرب أنه عمل

---

(١) انظر: فريدمان، من كتب التوراة؟، ص**٦٥**.

(٢) انظر: المرجع نفسه، ص **٦٤**.

الإنسان في الأرض، وتأسف في قلبه، فقال الرب: (أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته،الإنسان مع البهائم ودبابات وطيور السماء، لأني حزنت أني عملتهم)، وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب» (التكوين ٦: ٥- ٨)، ولكنه سينجي نوحًا ونسله فقد «كان نوح رجلاً بارًّا كاملاً في أجياله» (التكوين ٦: ٩)، وأمره بصناعة الفلك وترسم القصة شكل الفلك وتحدد أطوالها وأعراضها، ويأمره الرب أن يدخل هو وأهله وزوج من كل الحيوانات، وبعد أن ينتهي الطوفان الذي غمر الأرض كلها وأهلك كل حي «فمحا الله كل قائم كان على وجه الأرض: الناس، والبهائم، والدبابات، وطيور السماء، فانمحت من الأرض، وتبقَّى نوح والذين معه في الفلك فقط» (التكوين ٧: ٢٣) وبعد أن نجا نوح بنا للرب مذبحًا وتندم الرب على فعلته، ووعد بألا يهلك الأرض مرة ثانية «فتنسم الرب رائحة الرضا، وقال الرب في قلبه: (لا أعود أيضًا أميت كل حي كما فعلت، مدة كل أيام الأرض: زرع وحصاد، وبرد وحر، وصيف وشتاء، ونهار وليل، لا تزال)» (التكوين٨: ٢١ - ٢٢)، وقد أشار موريس بوكاي إلى أن الرواية التوراتية بتفاصيلها السابقة تتناقض مع معطيات العلم الحديث: «كيف يمكن تصور أن كارثة عالمية قد دمرت الحياة على كل سطح الأرض في القرن ٢١ أو ٢٢ق.م بحسب تقدير الرواية الكهنوتية، ففي ذلك العهد كانت هناك على نقاط عدة من الأرض حضارات قد ازدهرت وانتقلت أطلالها إلى الأجيال التالية...وبالنظر إلى ما نعرف عن تاريخ هذا العصر فإنه سيكون مثيرًا للسخرية، القول بأن الطوفان قد دمر في ذلك العصر كل الحضارات، فمن وجهة النظر التاريخية يمكن تأكيد أن رواية الطوفان تتناقض بشكل واضح مع المعارف الحديثة»[(١)]، وعلى العكس من ذلك -كما تنبه بوكاي- فإن القرآن الكريم يحدد دائرة العقاب والهلاك بقوم نوح فقط الذين استحقوا العقاب لعصيانهم، ولم تشر الآيات لطوفان يشمل الأرض كلها، قال تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الأنبياء: ٧٦ -٧٧)[(٢)].

يقول بوكاي: «على حين تتحدث التوراة عن طوفان عالمي لعقاب كل البشرية الكافرة،

(١) موريس بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص٢٤٦.

(٢) انظر: الآيات (٣٨- ٤٥) من سورة هود، وهكذا: سورة الشعراء (١١٦- ١٢٠).

يشير القرآن على العكس إلى عقوبات نزلت على جماعات محددة جدًّا، تشير إلى ذلك الآيات **٣٥ -٣٩** من سورة الفرقان... فالقرآن يقدم كارثة الطوفان باعتبارها عقابًا نزل بشكل خاص على شعب نوح»[1]، ويشكل هذا الفارق الجوهري الأول بين قصة الطوفان في القرآن والقصة التوراتية، والفرق الثاني أن القرآن على عكس التوراة لا يحدد زمن الطوفان، ولا يعطي أية إشارة عن مدة الكارثة نفسها، ولا يعطي تفاصيل السفينة طولها وعرضها، وبالطبع خلت القصة القرآنية من السمة الخرافية الواضحة التي جعلت-على سبيل المثال- الرب يغلق باب السفينة على نوح (تكوين ٧ : ١٦)، وغير ذلك كثير، وركزت على المغزى الديني والأخلاقي المقصود من وراء القصة، وشكلت بهذا ما يمكننا أن نعده نقدًا للقصة التوراتية.

فإن القصة في القرآن الكريم تركز على دعوة نوح لقومه لعبادة الله وحده لا شريك له، وترك الشرك وعبادة الأوثان قال: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (يونس: ٧١ – ٧٢)، كما تؤكد أن هناك من استجاب لدعوة نوح -عليه السلام- إلا أنهم قليل، وأنهم كانوا من الضعفاء، في قوله تعالى: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ...﴾ (هود ٢٦- ٣٤).

وقد لاحظ العديد من الباحثين كيف صيغت هذه القصص التوراتية لغرض محدد واضح، يقول عصام الدين حفني: «إن كُتَّاب التوراة لم يدوِّنوا هذه القصص المتسلسلة اعتباطًا، بل إنهم ابتدعوها وسلسلوها ليصلوا بها إلى غاية لهم ما فتئوا يضعونها نصب أعينهم، هي إثبات أن الله إنما خلق هذا الكون من أجل الأرض وأنه خلق الأرض من أجل آدم وبني آدم، ولقد خلق هؤلاء ليختار من بينهم سامًا ثم يختار من حفدته إسرائيل وبني إسرائيل انظر التثنية (٧: ٦)؛ لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك إياك قد اختار الرب إلهك

(١) موريس بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص **٢٥٠**.

لتكون له شعبًا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض»[1].

وفي مقابل هذا، قدَّم القرآن الكريم ما يمكن اعتباره نقدًا لتلك القصص التوراتية حينما صحح سقيمها، وعدل مفاهيمها المحرفة، وكشف بعض ما أخفاه كتبة التوراة، وذلك بتقديمه قصصًا دينيًّا أخلاقيًّا واقعيًّا خاليًا من التناقض ومخالفة العقل والواقع.

٢ - نقد القضايا الدينية:

تعرضت بعض القضايا الدينية الأساسية في التوراة للتحريف، كلازمة طبيعية لتحريف النص الديني، ومن أهم هذه القضايا: صورة الذات الإلهية، التي انحرفت عن أصولها التنزيهية لتغرق في الأنثروبومورفية أو النزعة التشبيهية التجسيمية.

كما تعرضت قضايا أخرى دينية مثل البعث واليوم الآخر للإخفاء، الذي هو أحد صور التحريف، حيث اختفت تقريبًا هذه القضية الجوهرية -في كل ديانة سماوية- من نصوص العهد القديم القانونية.

وكذلك قضية وراثة الذنب التي تعرضت لصورة أخرى من صور التحريف ألا وهي التبديل، فوجدنا نصوصًا تؤكد على معاقبة الرب للأبناء بذنوب الآباء ونصوصًا أخرى تقابلها، تؤكد أن كل نفس مسئولة عن ذنبها الخاص وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى، وقام القرآن الكريم بتصحيح ما تم تحريفه، وإظهار ما تم إخفاؤه، وتعديل ما تم تبديله من تلك القضايا وسنتعرض لبعضها:

أولًا: تنزيه الذات الإلهية في القرآن الكريم نقد للتشبيه في العهد القديم:

تبلور حول الآية القرآنية: ﴿...لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)، وغيرها من الآيات التنزيهية مثل قوله تعالى: ﴿...لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ (طه: ٥٢)، ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ (البقرة:٢٥٥)، ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (سبأ: ٣)، ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ (مريم: ٦٥)، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ (الإخلاص ٣- ٤)، موقف إسلامي عام من الذات الإلهية وصفاتها، موقف يجمع ما بين التنزيه المطلق لله تعالى عن الشبيه والنظير، وما بين إثبات الصفات التي وصف الله تعالى بها نفسه، ووصفها بها رسوله ﷺ

---

(١) عصام الدين حفني، محنة التوراة على أيدي اليهود، ص ٢٤- ٢٥.

دون نفي شيء منها أو إثبات لبعضها دون بعض، أو حصرها في عدد محدود [1].

هذا الموقف القرآني العام مثَّل نقدًا واضحًا للتصور التجسيمي للإله في العهد القديم، ومن ناحية أخرى فقد وجه القرآن نقدًا مباشرًا لبعض التصورات التشبيهية، التي تنسب صفات النقص الإنساني إلى الله تعالى عنها قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ (المائدة: ٦٤)، وكذلك حين طلب بنو إسرائيل من موسى – عليه السلام– الرؤية الحسية لله تعالى، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ (النساء: ١٥٣)، «والعهد القديم يطرح رؤى متناقضة للإله» [2]، فتارة هو إله يسلك مسلك البشر يغضب، ويندم (تكوين ٦: ٦–٧): «فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض، وتأسف في قلبه، فقال الرب: (أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته، الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء، لأني حزنت أني عملتهم)»، يسير على الأرض ويشارك في الحديث (التكوين ١٨: ١، ١٣، ١٤، ١٥) : «وظهر الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة ...»، «فقال الرب لإبراهيم: (لماذا ضحكت سارة قائلة: أفبالحقيقة ألد وأنا قد شخت؟، هل يستحيل على الرب شيء؟ في الميعاد أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة ابن)، فأنكرت سارة قائلة: (لم أضحك)؛ لأنها خافت، فقال: (لا! بل ضحكت)»، وتارة هو إله متعالٍ مجرد منزه، وتارة هو إله أكبر من جميع الآلهة (خروج ١٥: ١١): «من مثلك بين الآلهة يا رب؟ من مثلك معتزًا في القداسة، مخوفًا بالتسابيح، صانعًا عجائب؟»، وتارة هو الإله الواحد (التثنية ٤: ٣٥): «إنك قد أريت لتعلم أن الرب هو الإله. ليس آخر سواه»، وتارة هو إله قومي خاص ببني إسرائيل فقط (الخروج ٩: ١): «ثم قال الرب لموسى: (يقول الرب إله

(١) انظر: أ.د.عبد الحميد عبد المنعم مدكور، دراسات في العقيدة الإسلامية، دار الثقافة العربية، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص١٩٣– ١٩٥. وقد اختلف موقف منظرو العقائد الإسلامية، من هذه القضية قربًا أو بعدًا عن هذا الموقف الوسطي، فغالى البعض في التنزيه حتى كاد أن يقع أو وقع بالفعل في التعطيل وهو ما وقع فيه متقدمو المعتزلة وكان الحل الذي لجئوا إليه هو التأويل.. وفي المقابل غالى البعض الآخر في إثبات الصفات حتى وقعوا في التشبيه وهو موقف الكرامية والحشوية. انظر: سهير محمد مختار، التجسيم عند المسلمين مذهب الكرامية، دار الشروق، ١٩٧١م، ص٢١٤–٢٨٨.

(٢) أ.د.عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، ١٩٩٩م، المجلد الخامس، ص٦٥.

العبرانيين: أطلق شعبي ليعبدوني))»، أيضًا (التثنية ٧: ٦- ١١): «لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبًا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض، ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب، التصق الرب بكم واختاركم، لأنكم أقل من سائر الشعوب...»، وتارة هو رب العالمين (تثنية ٤: ٣٥- ٣٩): «إنك قد أريت لتعلم أن الرب هو الإله، ليس آخر سواه، من السماء أسمعك صوته لينذرك، وعلى الأرض أراك ناره العظيمة، وسمعت كلامه من وسط النار........فاعلم اليوم وردد في قلبك أن الرب هو الإله في السماء من فوق، وعلى الأرض من أسفل، ليس سواه».

ويعود ذلك التنوع إلى تعدد مصادر التوراة ويكون أقربها للتنزيه والتوحيد من بقايا الوحي الإلهي، يكون أبعدها عن تلك الصورة القرآنية تحريف لحق بالأصل الإلهي[١] وبالنظر إلى سمات مصادر التوراة نجد أن المصدرين الإلوهيمي والكهنوتي هما الأكثر تنزيهًا للإله، ويبدو أن الثاني قد استقى من الأول[٢] فنجد أن المصدر الإلوهيمي يجعل اتصال الإله بالبشر بطريق غير مباشر عن طريق الرؤى والملائكة (تكوين ٣:٢٠): «فجاء الله إلى أبيمالك في حلم الليل»، ويعلم الإنسان عن طريق الابتلاء (تكوين ١:٢٢): «أن الله امتحن إبراهيم» كما يظهر المغزى الأخلاقي وراء أحكامه في التاريخ (تكوين ١٥: ١٦): «وفي الجيل الرابع يرجعون إلى هاهنا، لأن ذنب الأموريين ليس إلى الآن كاملاً»، (الخروج ٣٢: ٣٤): «والآن اذهب بهذا الشعب إلى حيث كلمتك، هو ذا ملاكي يسير أمامك ولكن في يوم افتقادي أفتقد فيهم خطيتهم»، وعلى العكس من ذلك يعود للمصدر اليهوي على وجه الخصوص التصورات الأنثروبومورفية للإله فنجد الرب يتصرف على نحو بشري (التكوين ٦:٦): «فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض، وتأسف في قلبه»، ويحل في الأماكن (الخروج ١٩: ١٨): «وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار، وصعد دخانه كدخان الآتون»[٣].

---

(١) أ.د.محمد خليفة حسن، علاقة الإسلام باليهودية، ص٧٦.

(٢) فريدمان، من كتب التوراة؟، ص٢.

(٣) انظر:

G.W.ANDERSON,ACRITICAL INTRODUCTION TO THE O.T, ١٩٧٢,P ٣٧ – ٣٨.

وانظر أيضًا: أ.د محمد خليفة حسن، علاقة الإسلام باليهودية، ص ٢٩ – ٣٣ . وكذا: فريدمان، من كتب

ويعد هذا المصدر هو أساس التحريف الذي لحق بالصورة الإلهية في التوراة، وانحرف بها عن مصدرها الإلهي الأصلي، قد تناول علماء المسلمين ذلك التشويه لصورة الإله في التوراة بالنقد، حيث يرى الجاحظ أن سبب هذه المشكلة عدم لجوء هؤلاء للتأويل(١)، ويقول القرافي تعليقًا على نسبة النصب والتعب لله تعالى وأنه استراح يوم السبت: «فأين هذا القول من قول المسلمين أن خلق الله تعالى لجملة العوالم كخلقه لأقل جزء من جناح بعوضة، وأن إيجاده بأن يقول للشيء كن فيكون، واعتقاد المسلمين أن صنعه للأشياء بلا علاج ولا مخالطة لها وبلا مزاج وأن علمه محيط بكل شيء صنعه»(٢).

ثانيًا: قضية البعث واليوم الآخر:

تُعد قضية البعث واليوم الآخر من أهم القضايا التي تعرضت للإخفاء، وهي إحدى صور التحريف التي أشار إليها القرآن الكريم، فقد خلت الأسفار الخمسة-المنسوبة لموسى -عليه السلام- وسفر يشوع، وأسفار القضاة من أي إشارة إلى الفكر الأخروي(٣)، يقول الشيخ أمين الخولي: «إن التوراة التي بين أيدينا قد أهملت الثواب الأخروي والبعث إهمالًا واضحًا»(٤)، ونظرًا لأن إظهار بعض ما تم إخفاؤه من التوراة الأصلية جزء من رسالة القرآن النقدية تجاه التوراة المحرفة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴾ (المائدة: ١٥)، لذلك نجد القرآن الكريم ينص على احتواء توراة موسى -عليه السلام- الأصلية على أمر البعث واليوم الآخر قال تعالى: ﴿ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ۝١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ (الأعلى: ١٧- ١٩).

وأكد على أن الإيمان باليوم الآخر ركيزة أساسية من ركائز ديانات الوحي، قال تعالى:

التوراة؟، ص ٢٠٤.

(١) انظر: الجاحظ، المختار في الرد على النصارى، ص ٧٨ .

(٢) القرافي، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، ص٢٣٤.

(٣) انظر:

ENCYCLOPEDIA JUDAICA,JERUSALEM,١٩٨٢ – ١٩٩٢,VOL.٦,P ٨٦١.

وذلك في مادة : Resurrection

(٤) الشيخ أمين الخولي، تاريخ الملل والنحل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٥م، ص١١٧.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ...﴾ (البقرة: ٦٢)، ولذلك فقد دعا إبراهيم لمن آمن بالله واليوم الآخر قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ...﴾ (البقرة: ١٢٦)، واللافت أن «قضية البعث واليوم الآخر» رغم اختفائها من التوراة إلا أنها تظهر في أسفار الأبوكريفا والهاجادا بشكلٍ واضحٍ، على عكس أسفار الأنبياء التي تظهر لديهم بشكل مضمر؛ فنجد في الهاجادا ذكر خلق الجنة والنار قبل خلق السماوات والأرض، وأن الغرض من خلقهما هو تحقيق الثواب والعقاب[١]، كما نجد في سفر ايسدراس (الثاني ٢: ١٦): «إنني سوف أبعث الموتى من أماكنهم، وأخرجهم من قبورهم؛ لأنني قد عرفت اسمي في إسرائيل» أيضًا الإصحاح الرابع من نفس السفر (٤١- ٤٢): «في القبور، إن حجرات الأرواح تشبه أرحام الأمهات، فكما أن المرأة عندما تشعر بألم المخاض ترغب من صميم فؤادها أن تتخلص من هذا المخاض، كذلك أمكنة الأرواح ترغب في إخراج تلك الأشياء المودعة فيها»، وفي سفر إيسدراس (٢: ٢٣) أيضًا: «وإذا ما مات عندكم أحد فادفنوه سأعطيكم أفضل مكان عندي يوم الحساب والبعث»[٢].

ومن المعروف أن مادة بعض مصادر التراث الإسرائيلي السابقة هي مادة قديمة، تم تناقلها شفاهًا لقرون عديدة قبل تدوينها، فتأخُّر ظهورها زمنيًّا لا يعني أن أفكارها مستحدثة، والواضح أن هذه النصوص التي تحمل هذه العقيدة تعرضت للإقصاء أثناء عملية تثبيت نص التوراة، نظرًا لمخالفتها للاتجاه العام السائد في تلك الأثناء[٣]، فلا يبعد إذن أن تكون التوراة الحالية قد كتبت في جوٍّ سيطرت عليه إحدى الفرق الدينية التي أنكرت البعث كالصدوقيين مثلاً[٤].

---

(١) انظر: لويس جنزبرغ، قصص اليهود، ص٥١، ١١٣.

(٢) انظر: د.سهيل ذكار، المحذوف من التوراة كاملاً، دار قتيبة – دمشق ،ط١ ،٢٠٠٦م ، ص١٥٣، ١٥٦، ١٥٧،١٩٩.

(٣) انظر: المرجع نفسه، ص٦.أيضًا : حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، ص٦٢- ٦٥، وكذا: لويس جنزبرغ، قصص اليهود، ص٢٧.

(٤) انظر: الشيخ أمين الخولي، تاريخ الملل والنحل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٥م، ص١١٨. وعن أفكار الصدوقيين عن البعث انظر:
ENCYCLOPEDIA JUDAICA, VOL ٦, P ٨٧٥.

ثالثًا: وراثة الذنب (المسئولية الفردية):

ومن أهم القضايا الدينية أيضًا التي تعرضت للتبديل قضية «المسئولية الفردية» عن الأفعال، حيث انطوت التوراة على نصوص تكرس لفكرة توريث الذنب، وأن الأبناء يُؤاخذون بذنوب آبائهم، وتنسب هذه الفكرة لموسى -عليه السلام- حيث يناجي ربه قائلاً: «الرب إله رحيم ورءوف بطيء الغضب...غافر الإثم والمعصية والخطية، ولكنه لن يبري إبراء مفتقد إثم الآباء في الأبناء وفي أبناء الأبناء في الجيل الثالث والرابع» (الخروج ٣٤: ٦-٧)، وأيضًا في (العدد ١٤: ١٨): «الرب طويل الروح كثير الإحسان يغفر الذنب والسيئة لكنه لا يبرئ، بل يجعل ذنب الآباء على الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع».

إلا أن هذه القضية تعرضت للنقد داخلي من جانب العهد القديم نفسه، وصرحت إحدى الفقرات في سفر الملوك بأن مبدأ المسئولية الفردية عن الإثم يعود إلى شريعة موسى (الملوك الثاني ١٤: ٦): «لا يقتل الآباء من أجل البنين، والبنون لا يقتلون من أجل الآباء، إنما كل إنسان يقتل بخطيته» كما ورد في سفر التثنية(٢٤: ١٦): «لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيته يقتل».

الأمر الذي يُرجِّح أن الفقرات السابقة التي تتحدث عن توريث الذنب قد تم تحريفها على يد إحدى المدارس الفكرية اليهودية التي تؤمن بتوريث الذنب، وأن نوعًا من النقد الداخلي قد مورس تجاه هذا التحريف، فنجد حزقيال يقول: «ما لكم أنتم تضربون هذا المثل على أرض إسرائيل، وأنتم تقولون لماذا لا يحمل الابن من إثم الأب النفس التي تخطئ هي تموت، الابن لا يحمل من إثم الأب، بر البار يكون عليه، وشر الشرير عليه يكون» (حزقيال ٢:٨، ١٩- ٢٠).

فقد حاول الأنبياء تصحيح ما حرَّفه الكتبة، وهو ما تؤكده عبارات حزقيال السابقة الذي تعرضت نصوصه نفسها لخطر الإخفاء أثناء عملية تثبيت نصوص العهد القديم من جراء ذلك، وهو الأمر الذي يتضح فيما ورد عنه في (شبات ٣٢: ١٢): «لا تنسى الرجل الطيب حنانيا بن حزقيا بن جرون، والذي لولاه لاختفى سفر حزقيال، لأن أقواله تناقض أقوال التوراة» والمقصود بالطبع التوراة المحرفة[1].

(١) د.أحمد هويدي، د.محمد خليفة حسن، اتجاهات نقد العهد القديم، ص ١٥ – ١٦ .

وقد قام القرآن الكريم بتوضيح ما حاول قلم الكتبة تبديله وتحريفه حيث أكد على أن المسئولية الفردية عن الإثم كانت ضمن شريعة موسى -عليه السلام- في التوراة، قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾ (النجم: ٣٦- ٤١).

٣ - النقد الأخلاقي:

وجَّه القرآن الكريم نقدًا أخلاقيًّا للسلوك اليهودي الذي انحرف عن تعاليم الوحي الأخلاقية، خاصةً وأن التعاليم الأخلاقية جزء لا يتجزأ من أي رسالة دينية سماوية، ويمكننا تقسيم هذا النقد إلى ثلاثة مستويات: مستوى السلوك الديني، ومستوى السلوك الفردي، ومستوى التعامل مع الآخرين.

أولًا: نقد السلوك الديني لبني إسرائيل:

١- الشرك والكفر (نقض الميثاق الإلهي):

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ...﴾ (البقرة: ٨٣)، فقد كان التوحيد الإلهي جوهر رسالة موسى -عليه السلام- لبني إسرائيل، إلا أن بني إسرائيل تورطوا في الكفر مبكرًا، فقد كان موسى -عليه السلام- لا يزال بين ظهرانيهم، حينما اتجهوا لعبادة العجل في صحراء سيناء، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ...﴾ (البقرة: ٩٣)؛ لذلك قد استوجبوا لعنة الله بسبب كفرهم قال تعالى: ﴿... وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء: ٤٦).

وكان هذا الانحراف العقدي أول الانحرافات (الخروج ٣٢: ١- ٦): «ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل، اجتمع الشعب على هارون وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا؛ لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا...» ولكنه لم يكن آخرها، حيث سجل لنا العهد القديم ظاهرة ردة بني إسرائيل المتكررة تلك الردة الدينية التي شملت الملوك والشعب على حد سواء [1]، حيث اتجهوا إلى عبادة آلهة الأمم المجاورة لهم وآلهة كنعان، وقد تعرضوا للنقد من جانب أنبيائهم بسبب سلوكهم المنحرف تجاه خالقهم، فنجد

(١) انظر: القضاة ٢: ١٠- ١٣، الملوك الأول ١٥: ٢٧، الملوك الأول ١٦: ٢٥.

(نحميا ٩: ٣٥) يقول: «وهم لم يعبدوك في مملكتهم وفي خيرك الكثير الذي أعطيتهم وفي الأرض السمينة التي جعلتها أمامهم».

٢- عصيان الأنبياء وقتلهم:

فقد تميز التاريخ اليهودي بكثرة الأنبياء الذي كان لازمة طبيعية لتعدد ردتهم عن العبادة الأصلية، فقد بعث الله لهم نبيًا تلو الآخر ليذكرهم بعبادة الله، وبشريعته، وتماديًا منهم في الطغيان قتلوهم، قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ﴾ (البقرة: ٨٧).

لذلك استوجبوا سخط الله تعالى وغضبه قال تعالى: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾ (آل عمران: ١١٢)، ﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ (البقرة: ٦١)، وقد أشار العهد القديم إلى أن عصيان الأنبياء كان ديدن بني إسرائيل[1]، لذلك نجد إرميا يقول على لسان الرب (إرميا ٧: ٢٥- ٢٦): «فمن اليوم الذي خرج فيه آباؤكم من أرض مصر إلى هذا اليوم أرسلت إليكم كل عبيدي الأنبياء مبكرًا كل يوم ومرسلاً، فلم يسمعوا لي ولم يميلوا أذنهم بل صلبوا رقابهم».

وتتعدد شواهد قتل الأنبياء في العهد القديم[2]، حتى يصف النبي إرميا شعبه قائلاً: «أكل سيفكم أنبياءكم كأسد مهلك» (إرميا ٢: ٣٠)، وكذلك النبي (نحميا ٩: ٢٦): «وعصوا وتمردوا عليك وطرحوا شريعتك وراء ظهورهم وقتلوا أنبياءك الذين أشهدوا عليهم ليردوهم إليك».

ثانيًا: نقد السلوكيات الفردية:

١- النفاق:

والنفاق ظاهرة تشير إلى إظهار الإنسان خلاف ما يبطن، وهو ضرب من ضروب الكذب، إلا أنه يتضمن بالضرورة إيذاء الآخرين، وقد أكد القرآن الكريم في غير موضع على

---

(١) أ.د. محمد جلاء إدريس، صورة الإسرائيلي في التوراة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، ص٦٣.

(٢) انظر: الملوك الأول ١٨: ١٤.

هذا المسلك السيئ من جانب بني إسرائيل، وتكمن هذه الصفة الذميمة فيهم، حتى أصبحت صفة تلازمهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (آل عمران: ٧٢)، وحذر القرآن من الاغترار بإيمانهم الظاهر قال تعالى: ﴿هَـٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ...﴾ (آل عمران: ١١٩)، وقد أشار الأنبياء في العهد القديم إلى انتشار وباء النفاق في قومهم يقول (إشعيا ٩: ١٧): «لأجل ذلك لا يفرح السيد بفتيانه، ولا يرحم يتاماه وأرامله؛ لأن كل واحد منهم منافق وفاعل شر»[١].

٢ – الكذب:

فلقد وصفهم القرآن الكريم بقول الكذب وسماع الكذب، فقد كذبوا على الله تعالى ونسبوا إليه ما ليس منه قال تعالى: ﴿...وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ٧٥)، فهم يحرفون الشريعة ثم ينسبونها إليه تعالى[٢]، ونبه تعالى إلى ذلك قائلاً: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا﴾ (النساء: ٥٠)، كما انتقد القرآن سماعهم للكذب قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ﴾ (المائدة: ٤١).

ولقد ورد في التوراة النهي عن الكذب، وذم هذا المسلك السيئ، فنجد في (الخروج ٣٢: ١): «لا تقبل خبرًا كاذبًا»، وأيضًا (الخروج ٢٣: ٧): «ابتعد عن الكلام الكذب»، وفي (المزامير ٣١: ٨): «لتبكم شفاه الكذب المتكلمة على الصديق بوقاحة، بكبرياء واستهانة، إلا أن السلوك اليهودي جاء بالطبع مناقضًا لكل تلك الوصايا، وسجل العهد القديم وقائع كذب فردية، وأخرى جماعية، فقد ورد في سفر الملوك الأول أن إيزابيل زوجة أحد الملوك تواطأت مع رجلين ليكذبا ويشهدا زورًا ضد نايوت اليزرعيلي مما أودى بحياته (الملوك الأول ٢١: ١٣)، كما أشار الأنبياء إلى حالات الكذب الجماعي فنجد إشعيا يقول: «وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين» (إشعيا ٦: ٥). ويقول في موضع آخر (٥٩: ٣): «شفاكم

---

(١) المرجع السابق، ص ٦٩.

(٢) ولقد أورد السموأل بن يحيي المغربي أمثلة من الكذب الذي أحترفه فقهاء اليهود تشريعهم تشريعات ما أنزل الله بها من سلطان. انظر: السموأل، إفحام اليهود...، ص١٦٥، ١٦٦.

تكلمت بالكذب، ولسانكم يلج بالشر»[1]. وقد تفشت ظاهرة الكذب بينهم حتى طائفة من مدعي النبوة سموا بالأنبياء الكذبة [2]. ولذلك نجد النبي إرميا يصف هذا الوضع قائلاً: «صار في الأرض دهش وقشعريرة الأنبياء يتنبئون بالكذب والكهنة تحكم على أيديهم وشعبي هكذا .....» (إرميا ٥: ٣٠- ٣١).

٢- الخيانة ونقض العهود:

أشار القرآن الكريم إلى خيانة اليهود للعهود والمواثيق وأول المواثيق التي خانوها كانت تخليهم عن عبادة الله تعالى كما أشرنا من قبل، وبالتالي لم يصعب عليهم خيانة الناس قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ ...﴾ (آل عمران: ٧٧)، وقال تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ (البقرة: ١٠٠)، وقد ذكر العهد القديم أمثلة عديدة على تمكن صفة الخيانة منهم حيث يذكر قصة قتل أولاد يعقوب -عليه السلام- لقرية بأكملها بعد أن عاهدوا أهلها (التكوين ٣٤)[3].

٤- الجبن:

عدَّدَ القرآن الكريم لمواقف عديدة يتضح منها اتسامهم بالجبن، ومن أهم تلك المواقف توليهم عن القتال عندما أمروا بدخول القرية ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴾ (المائدة: ٢٠- ٢٢)، وقولهم لنبيهم موسى -عليه السلام- ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ (المائدة: ٢٤)، وقد ورد ذكر تلك الحادثة في العهد القديم (العدد ١٣: ٣٢- ٣٣)، كما تكرر هذا المسلك بعد موسى-عليه السلام- في أثناء عصر القضاة قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي

---

(١) أ.د.محمد جلاء إدريس، صورة الإسرائيلي في التوراة، ص٧٦.

(٢) انظر: أ.د.محمد خليفة حسن، ظاهرة النبوة الإسرائيلية، ص٥٩ – ٦٤ .

(٣) انظر: المصدر السابق، ص ٨٦ – ٩١ .

سَبِيلِ ٱللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟...﴾ (البقرة: ٢٤٦)، ولذلك فهم حريصون على الحياة قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟...﴾ (البقرة: ٩٦).

٥- العناد والمكابرة:

فقد كان رد بني إسرائيل -على الأوامر الإلهية- كما نص القرآن الكريم: ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ (البقرة ٩٣)، ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ (البقرة ٨٨) أي: لا نستطيع الاستجابة لما تأمرنا به، وقد نتج عن عصيانهم وعنادهم المتكرر قسوة القلب قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً...﴾ (البقرة: ٧٤) ولذلك فإنهم ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ...﴾ (المائدة: ٧٩)، وقد ورد وصفهم بقسوة القلب في العهد القديم أيضًا، فقد وصفوا بأنهم غُلاف القلب، وشعب صلب الرقبة[1].

ثالثًا: السلوك تجاه الآخرين:

١-العنصرية: تعرَّض القرآن الكريم بالنقد لما أشاعه اليهود من تميزهم على سائر البشر؛ قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ...﴾ (المائدة: ١٨)، «فاليهود –حسب معتقدهم– شعب الله المختار؛ لأن الله أرادهم هكذا أمة معنية مميزة في التاريخ أهلتهم أن يكونوا أحفاد الأنبياء.. فاختلافهم عن البشر ليس اختلاف درجة وإنما اختلاف نوع»[2].

وقد تمكنت هذه الصفة منهم حتى أن كتبة التوراة دوَّنوا القصص التوراتي على نحو عنصري واضح يجعل بني إسرائيل وحدهم النسل المبارك نسل الأنبياء[3]، ويصور لنا ملاخي هذه النزعة قائلاً (ملاخي ١: ٢- ٣): «أحببتكم قال الرب، وقلتم بم أحببنا، أليس عيسو أخًا ليعقوب، يقول الرب وأحببت يعقوب وأبغضت عيسو وجعلت جباله خرابًا وميراثه لذئاب البرية».

ولذلك فإن عزرا يُعلن أن بني إسرائيل استحقوا العقاب بالسبي؛ لأنهم خانوا إلههم لا

---

(١) انظر: (الخروج ٣٢: ٩): «وقال الرب لموسى: رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقبة» ويصفهم النبي حزقيال قائلاً: «لأن كل بيت إسرائيل صلاب الحياة وقساة القلوب» (حزقيال ٣: ٧).
(٢) موفق محادين، دورة الدين اليهودي، دار الكنوز، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ص١٢١.
(٣) انظر: أ.د.محمد جلاء إدريس، صورة الإسرائيلي...، ص١٣٤- ١٤٥.

بعبادة آلهة أخرى، وإنما لأنهم اتخذوا نساء من شعوب الأرض (عزرا ١٠: ٢- ٣): «وقال لعزرا: (إننا قد خنا إلهنا واتخذنا نساء غريبة من شعوب الأرض، ولكن الآن يوجد رجاء لإسرائيل في هذا، فلنقطع الآن عهدًا مع إلهنا أن نخرج كل النساء والذين ولدوا منهن، حسب مشورة سيدي، والذين يخشون وصية إلهنا، وليعمل حسب الشريعة».

وكان من الطبيعي أن تنشأ عن عنصرية العرق والنسل عنصرية الأحكام فالأمر بالإحسان للمسكين والفقير يقتصر فقط على بني إسرائيل وفي ديارهم (تثنية ١٥: ١٦): «ولكن إذا قال لك: لا أخرج من عندك. لأنه قد أحبك وبيتك، إذ كان له خير عندك»، و«بالعدل تحكم لقريبك» (لاويين ٥:١٩)[١].

وحتى الأوامر الأخلاقية التي ظلت خالية من العنصرية حرَّفها المفسرون في التلمود وأصبحت تحمل معنى مناقضًا لمعناها الأصلي، وأصبحت «مفهومة من جانب اليهودية الكلاسيكية والأرثوذكسية الحالية بطريقة تتناقض مع معناها الحرفي كما يراه قراء العهد القديم بصورته الظاهرية»[٢].

فمثلاً الوصية البالغة الكرم التي تحض على ترك فضلات الحقل والكرم للفقير والغريب (اللاويين ٩: ١٠)، فإنها تفسر كإشارة إلى الفقير اليهودي ومعتنقي الديانة اليهودية فقط[٣].

٢- المعاملات المالية:

---

(١) وقد أشار السموأل بن يحيى المغربي إلى أن طائفة الحخاميم -وهم فقهاء اليهود- كانوا أشد اليهود عداوة لغيرهم من الأمم؛ ولذلك فقد حرموا عليهم -في كتب الشريعة (المشنا والتلمود) مؤاكلة الأجانب- وحرموا عليهم مناكحتهم»، ولم يمكنهم المبالغة في ذلك إلا بحجة يبتدعونها، من أنفسهم ويكذبون بها على الله تعالى؛ لأن التوراة إنما حرمت عليهم مناكحة غيرهم من الأمم، لئلا يوافقوا أزواجهم في عبادة الأصنام والكفر بالله تعالى، وحرم عليهم في التوراة أكل ذبائح الأمم الذين يذبحونها قربانًا للأصنام؛ لأنها قد سمي عليها غير اسم الله تعالى فإما الذبائح التي لم تذبح قربانًا، فلم تنطق التوراة بتحريمها وإنما نطقت بإباحتهم تناول المأكل من يدي غيرهم من الأمم» السموأل ص١٦٤ (إفحام اليهود)، ويذكر السموأل إلى الدافع وراء إشاعة هؤلاء لمشاعر العداء تجاه الأمم الأخرى والتي عبَّر عنها بقوله: «فصار أحدهم ينظر إلى من ليس على ملته، كما ينظر إلى بعض الحيوانات التي لا عقل لها، وينظر إلى المآكل التي تأكلها الأمم كما ينظر الرجل العاقل إلى العذرة أو إلى صديد الموتى» نفس المصدر، ص١٧٤.

(٢) إسرائيل شاحاك، الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، ترجمة: حسن خضر، سينا للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م، ص٥٨.

(٣) السابق ص٦٠.

أشار القرآن الكريم إلى أن اليهود دأبوا على أكل أموال الناس بالباطل قال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (النساء: ١٦٠-١٦١).

وقال تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (المائدة ٦٢)، والسحت أصله يرجع إلى الحرام الخسيس الذي لا يكون فيه بركة[1]، على الرغم من أن بعض نصوص التوراة تحرم الرشوة (الخروج ٢٣: ٨): «ولا تأخذ رشوة لأن الرشوة تعمي المبصرين وتعوج كلام الأبرار»، فالفقرات في (مزمور ٢٦: ٩- ١٠) تستنكر هذا الفعل، إلا أن هذا السلوك المشين كان سائدًا بينهم، فنجد النبي إشعيا يشير إلى ذلك قائلاً: «رؤساؤك متمردون ولخفاء لصوص كل واحد منهم يحب الرشوة ويتبع الخطايا» (إشعيا ١: ٢٢- ٢٣)، «لأنهم من صغيرهم إلى كبيرهم كل واحد مولع بالربح» (إرميا ٨: ١٠).

وقد أشار القرآن الكريم إلى أنهم قد تعاملوا بالربا على الرغم من أنهم قد نُهوا عن التعامل به قال تعالى: ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (النساء: ١٦١).

وكان هذا عرضًا لبعض ملامح من نقد القرآن الكريم للعهد القديم، ولسلوكيات اليهود المنحرفة، التي جاءت متوازيةً مع تحريف النصوص، وانحراف العقيدة.

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، المجلد السادس، ص١٨٥.

رابعًا: منهج النقد الحديثي

أ- الخطوط العامة للمنهج:

نشأ حول السُّنة النبوية منهج نقدي سعى إلى تحري الدقة والضبط في النقل عن النبي محمدﷺ نظرًا لمركزية وأهمية الحديث النبوي باعتباره المصدر الثاني للتشريع في الإسلام بعد القرآن الكريم، وباعتباره مبينًا وشارحًا له، باختصار باعتباره أصلاً ثانيًا من أصول الديانة، الأمر الذي دفع المسلمين إلى الدأب وراء تمحيص الخبر المضاف إلى النبي ﷺ.

وتعود العناية بتمحيص الخبر الوارد عن النبي ﷺ إلى العهد الأول للرسالة، فنجد الصحابة -رضوان الله عليهم- يجتهدون في التثبت والتحري في النقل عن النبي، فقد ورد أن عائشة -رضي الله عنها- لمّا سمعت حديث عمر وابنه عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه»، قالت: رحم الله عمر، والله ما حدث رسول الله ﷺ أن الله يعذب المؤمنين ببكاء أحد، ولكن قال: إن الله يزيد الكافر عذابًا ببكاء أهله عليه، وقالت: حسبكم القرآن: «ولا تزر وازرة وزر أخرى»(١).

ولذلك يُعد نقد الخبر الديني خصيصة إسلامية «ومن قبل لم تعن الأمم السابقة في النقل والرواية بالإسناد والتحري في معرفة رجاله ودرجاتهم من العدالة والضبط..فكانت الحوادث التاريخية تروى على علاتها، والأديان والمذاهب يعول فيها على التلقي من أفواه النقلة وكتابتهم، دون سؤال عن الإسناد فضلاً عن دراسته وبحثه»(٢).

وكان ذلك الحرص على تقصي صدق الرواية عن النبي، النواة الأولى لمنهج نقد الروايات سواء كانت دينية أم تاريخية، فقد استفاد كل من المؤرخين وعلماء الأديان من هذا المنهج الدقيق وطبقوه كل في مجاله، خاصةً وأن بعضهم كان يجمع بين المجالات الثلاث فيكون محدثًا ومؤرخًا وعالمًا للأديان.

وانقسم هذا المنهج النقدي منذ البداية إلى شقين: نقد للراوي، ونقد للمروي، أو بعبارة أخرى نقد للسند ونقد للمتن مما يوحي بشمولية هذا المنهج.

---

(١) ورد الحديث في صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ «يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه»،حديث رقم ١٢٢٦.

(٢) أ.د.نور الدين عتر، منهج النقد في علوم الحديث، دار الفكر، دمشق، ط٢٧، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص٣٥، ص٥٢- ٥٦، وانظر أيضًا: أسد رستم، مصطلح التاريخ، المكتبة العصرية، لبنان، ط٣، د.ت، ص١، المقدمة.

أولًا: نقد السند:

والمقصود بالسند: سلسلة الرواة الذين نقلوا الحديث واحدًا عن الآخر، حتى يبلغوا به إلى قائله[1].

ويعتني هذا الشق من منهج النقد بأمرين أولًا: البحث عن مصدر الخبر من أين: سمع الراوي هذا الخبر؟ ومن الذي نقله إليه؟ وكيف نقله إليه؟ وهل التقى بمن روى عنه أم لا؟ وقد يستعان على ذلك بمعرفة تاريخ موت الراوي للتأكد من اتصال الراوي بمن روى عنه[2].

ثانيًا: الشك في الراوي:

عن طريق شروط رأوا أنها يجب توافرها في الراوي حتى يكون عدلًا ضابطًا تقبل روايته، وهو منهج دقيق للغاية أقامه علماء المسلمين لتمحيص الراوي سواء في حال تحمل الراوية أو أدائها.

- والعدالة: صفة تلزم صاحبها المحافظة على أوامر الدين، ونواهيه والعرف، والعادات والتقاليد، وهي بهذا تتعلق بدين الراوي وأخلاقه[3]، أي أنها تفترض مجموعة صفات إذا توافرت في الراوي حملته على الصدق وصرفته عن الكذب واعتبر بهذا عدلًا صادقًا[4].

أما قواعد الضبط: فهي تتعلق بصلاحية الراوي العقلية والمعرفية. فإن معنى الضبط في اصطلاحهم: «مراجعة ما حفظه الراوي وفهمه فهمًا دقيقًا، سواء أكان مصدره في ذلك الصدر أم الكتاب»[5].

فلابد أن يكون الراوي متيقظًا غير مغفل، حافظًا إن حدَّث من حفظه، ضابطًا لكتابه إن حدث من كتابه، وإن كان يحدث بالمعنى اشترط فيه مع ذلك أن يكون عالمًا بما يحيل المعاني[6]، ويكون الراوي الذي تتوافر فيه شروط العدالة والضبط عدلًا ضابطًا ثقة، تقبل منه

---

(١) انظر: نور الدين عتر، منهج النقد في علوم الحديث، ص٣٤٤.

(٢) انظر: د.عثمان موافي، منهج النقد التاريخي الإسلامي والمنهج الأوروبي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط٣، ١٩٨٤م، ص١٧٠- ١٧١.

(٣) انظر: المرجع نفسه، ص١١٧.

(٤) انظر: نور الدين عتر، منهج النقد في علوم الحديث، ص٨٠.

(٥) الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المتوفى ٤٦٣هـ، الكفاية في علم الرواية، طبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن سنة ١٣٥٧هـ، ص١٠٥ .

(٦) انظر: نور الدين عتر، منهج النقد في علوم الحديث، ص٨٠ .

روايته، ويُحكم عليه من خلال إخضاعه لقواعد الجرح والتعديل(١).

وهكذا فإن المحدثين «لم يكتفوا بمجرد استقامة السلوك الديني، بل لاحظوا العوامل الداخلية، فنظروا إلى ما يخشى أن يدفع الراوي من انحياز فكري أو اجتماعي إلى عدم التحري في النقل، ودرسوا حالة الراوي النفسية من حيث الاعتدال والتحرز، أو الاستهتار والتساهل على ضوء ما أسموه «بالمروءة» وراعوا أهليته العلمية والذهنية للأداء الصحيح في شروط الضبط، فجاء مقياسهم النقدي هذا موضوعيًّا شاملاً»(٢).

وقد لخَّص ابن خلدون أسباب الكذب في الرواية بوجه عام والتاريخية منها بوجه خاص على النحو التالي:

١- التشيع للآراء والمذاهب، فإن النفس إذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته من التمحيص والنظر حتى يتبين صدقه من كذبه، وإذا خامرها تشيع لرأي أو نِحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة، دون انتقاد وتمحيص فتقع في قبول الكذب ونقله.

٢- الثقة بالناقلين.

٣- الذهول عن المقاصد، فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين أو سمع وينقل الخبر على ما في ظنه وتخمينه فيقع في الكذب.

٤- الجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع لأجل ما يداخلها من التلبيس.

٥- تقرب الناس في الأكثر لأصحاب التجلة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الأحوال وإشاعة الذكر بذلك فيستفيض الإخبار بها على غير حقيقة.

٦- الجهل بطبائع الأحوال في العمران، فإن كل حادث من الحوادث -ذاتًا كان أو فعلاً- لابد له من طبيعة تخصه في ذاته وفيما يعرض له من أحواله، فإذا كان السامع عارفًا بطبائع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضياتها أعانه ذلك في تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب(٣).

---

(١) انظر: د.عثمان موافي، منهج النقد التاريخي، ص١١٨- ١٢٠، وانظر أيضًا: نور الدين عتر، منهج النقد في علوم الحديث، ص١٠٥- ١١٥.

(٢) انظر: نور الدين عتر، منهج النقد في علوم الحديث، ص١٣٩- ١٤٠.

(٣) انظر: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (٧٣٢- ٧٥٠هـ)، المقدمة، تحقيق: د.علي عبد الواحد وافي، لجنة البيان العربي- القاهرة، ط١، ١٩٥٧م، ١/ ٢٦١ - ٢٦٥.

وقد قسم علماء نقد الحديث الخبر المروي إلى متواتر وآحاد، فالمتواتر: الذي روته جماعة كثيرة تحيل العادة تواطؤهم على الكذب، وكذا وقوعه منهم اتفاقًا من غير قصد، وأولئك الأفراد رووا ذلك عن مثلهم من الابتداء إلى الانتهاء، وكان مستند انتهاء الخبر الأمر المشاهد أو المسموع، لا ما ثبت بقضية العقل الصرف، وأن يصحب خبرهم إفادة العلم لسامعه، أما الآحاد: فهو الذي لم تتوافر فيه شروط التواتر السابقة، وقد يكون رواه واحد أو جماعة تزيد على الواحد(١).

واعتبروا الخبر المتواتر مفيدًا للعلم الضروري، وفي أعلى درجات اليقين، بينما اعتبروا خبر الواحد لا يفيد العلم ، ولا تثبت به المسائل العقدية، ولكن رأوا أنه يجب العمل به في الأحكام والمعاملات، كما اختلفوا في معايير قبوله(٢).

ومن الجدير بالذكر أن نقد السند يقابل في منهج النقد التاريخي الغربي الحديث ما يعرف بالنقد الخارجي، والذي يسعى نحو تحديد مصدر الوثيقة التاريخية، والظروف التي كتبت فيها، وكيفية وصولها إلينا، باختصار تعيين كاتب الوثيقة والزمان والمكان اللذين كتبت فيهما(٣).

كما استفاد -على ما يبدو- مؤسسو منهج النقد التاريخي الغربي من علم نقد الرجال في تأسيس أحد أهم خطوات المنهج النقدي الحديث وهي الشك في المؤلف أو الراوي عن طريق مجموعة من التساؤلات التي تساهم الإجابة عليها في الكشف عن مصدر الوثيقة أو الخبر تاريخيا وهي: «هل للراوي مصلحة فيما يروي؟ وهل خضع لظروف قاهرة أكرهته على التلفيق والنطق بالباطل؟..وهل كان الراوي يتمتع بحواس سليمة وعقل صحيح أم كان عُرضة للخطأ؟ هل تمتع الراوي بجميع شروط المشاهدة العلمية»(٤).

ثالثًا: نقد المتن (مضمون الراوية):

وإلى جانب النقد الإسنادي -سالف الذكر- كان لابد من النظر إلى المرويات بعين

---

(١) انظر: طه بن علي بوسريح، المنهج الحديثي عند الإمام ابن حزم الأندلسي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ص١٤٣- ١٤٧.

(٢) انظر : الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص١٣٣ - ١٣٤. وانظر المرجع السابق: ص ١٤٨.

(٣) انظر: أسد رستم، مصطلح التاريخ، ص٣٤، وانظر أيضًا: عثمان موافي، منهج النقد الإسلامي والمنهج الأوروبي ص٧.

(٤) أسد رستم، مصطلح التاريخ، ص٦١- ٦٦.

بصيرة ونظر ثاقب، إذ قد يكون المروي مما لا يتصور صدوره عن النبي ﷺ فيحكم عليه العلماء بالرد حتى وإن صح إسناده[1]، ويتضمن نقد المتن ثلاث خطوات رئيسية:

أولًا: تصحيح المتن لُغويًّا:

وهذا لا يتأتى إلا باستبعاد ما فيه من أغلاط، مردها إما إلى ضعف البصر أو السمع، وهو ما أطلق عليه علماء نقد الحديث «التصحيف والتحريف».

ثانيًا:التفسير:

يقوم على أساس شرح كل كلمة غريبة وردت في المتن شرحًا لغويًّا، ثم الاستنباط الذي يقوم على تحليل مضمون المتن أو الخبر لاستخراج ما به من أحكام وقواعد شرعية أو لغوية[2].

ثالثًا: معرفة الصحيح من الزائف:

فقد وضع علماء الحديث قواعد كلية عامة لمعرفة صحيح المتن من زائفه، يقول ابن الجوزي: «كل حديث رأيته يخالف المعقول أو يناقض الأصول، فاعلم أنه موضوع، فلا تتكلف اعتباره»[3].

وتتلخص تلك القواعد أو المعايير في الآتي:

١- عدم مخالفة القرآن الكريم.

٢- عدم مخالفة الثابت من السيرة النبوية والحديث.

٣- عدم مخالفة العقل والحس وشواهد التاريخ[4].

(١) صلاح الدين بن أحمد الأدلبي، منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي، دار الأوقاف، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص١٠.

(٢) عثمان موافي، منهج النقد التاريخي، ص١٧٣.

(٣) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن جعفر بن الجوزي، كتاب الموضوعات من الأحاديث المرفوعات، تحقيق: د.نور الدين بن شكري بن علي بوياجيلار، مكتبة أضواء السلف - الرياض، ط١ ،١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ١/ ١٥١ .

(٤) انظر: الأدلبي، منهج نقد المتن، ص٢٣٥.

ب - تطبيق علماء الأديان لمنهج النقد الحديثي على العهد القديم:

اعتبر علماء الأديان نصوص العهد القديم وثائق تاريخية لابد أن تخضع للمنهج النقدي الذي طوره علماء الحديث، فهي مرويات دينية تقع في إطار الخبر الديني الذي لابد أن يخضع للتمحيص والتدقيق لبيان السقيم من السليم.

فبالنسبة لما يتعلق بسند التوراة حاول العلماء تتبع اتصالها من موسى -عليه السلام- وحتى عصر الهيكل الثاني وتدوينها على يد عزرا الكاتب.

وحاولوا دراسة موقف بني إسرائيل منها، ومدى عنايتهم بها، وحفظهم لها، ومدى انتشارها أو اقتصارها على قوم مخصوصين، مما يحول دون نقلها نقلاً متواترًا متصلاً.

وكان النموذج القرآني الذي اتصل فيه التنزيل بالنقل المتواتر والحفظ بالتدوين والانتشار الواسع ماثلاً في أذهانهم، يقيسون عليه نقل التوراة الذي انقطع مرات عديدة عبر قرون طويلة، مما جعل أدنى شروط حفظ النص غير متوافرة فيه[1].

أما من جهة المتن فقد عمدوا إلى فحص مضمون النص، ومنطقيته ومدى تناغمه وتناسبه وخلوه من التناقض الذاتي، وكذلك مدى مخالفته أو موافقته للحقائق العلمية المبرهنة، والوقائع التاريخية الثابتة[2]. وكانت معاييرهم في نقد المتن، هي الأصول القرآنية والقواعد العقلية وشواهد الحس وحقائق التاريخ.

ويمكننا أن نقسم نقاد العهد القديم المسلمين من حيث قضايا السند والمتن إلى:

١- مَن اهتموا بقضايا المتن دون السند:

مثل أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ- ٨٦٩م)، علي بن ربن الطبري (ت٢٦٠هـ- ٧٨٤م).

حيث أشار الجاحظ إلى النزعة التشبيهية في التوراة، وأورد عدة أمثلة على ذلك: «إنهم يخبرون أن الله تبارك وتعالى قال في العشر الآيات التي كتبتها أصابع الله: إني أنا الله الشديد، وإني أنا الله الثقف، وأنا النار التي آكل النيران آخذ الأبناء بحوب الآباء (الخروج ٣٤: ٧)...وأن داود خبَّر أيضًا في مكان آخر عن الله تعالى، فقال: وانتبه الله كما ينتبه السكران

---

(١) انظر: ابن حزم، الفصل في الملل والنحل، ٢ / ٢١٩ - ٢٢٣ .

(٢)انظر: د.محمد عبد الله الشرقاوي، في مناهج البحث منهج نقد النص بين ابن حزم وسبينوزا، دار الفكر العربي، القاهرة، ص٣٩.

الذي قد شرب الخمر (المزمور٧٨: ٦٥)»[١]، واعتبر سوء التأويل، وسوء الترجمة في نقل التوراة من العبرانية إلى العربية سببًا للوقوع في ذلك التشبيه المنكر[٢].

أما علي بن ربن الطبري فهو يشير إلى إغراق التوراة في تفاصيل الأخبار التاريخية لبني إسرائيل والمنازل والأماكن التي حلوا بها واقتصار اهتمامها بأنساب بني إسرائيل، وهو ما لا يتناسب مع سمات الوحي، الذي يمثله القرآن الكريم والذي يقتصر على البعد الديني والأخلاقي في الروايات، ويبعد عن التفاصيل المسفة، يقول: «أما القرآن فلن يوجد فيه حرف مما يشبه ذلك، بل منسوج بالتوحيد والتهاليل والتحاميد والسنن والشرائع والأثر والوعد والوعيد، والرغبة، والرهبة، والنبوات والبشارات بالأمور الجميلة التي تليق بجلال الله وحكمته»[٣].

٢- مَن اهتموا بنقد السند دون المتن:

ويُعد القاضي عبد الجبار بن أحمد (ت٤١٥هـ) مِن أوائل من أشار إلى مسألة انقطاع سند التوراة، وعزا ذلك «لِمَا كان من غلبة بختنصر على بلاد القوم، وإحراقه التوراة وقتله القوم، وسبيه لهم، والقوم يعترفون بجملة ذلك، فمن أين أن النقل ثابت؟!»[٤].

كما أشار إلى «أن في التوراة ما يدل على أنه ليس من كلام الله تعالى، ولا من كلام موسى؛ لأن فيها الإخبار عن موت موسى-عليه السلام- وعن أحوال بني إسرائيل بعده، كما أن فيها الإخبار عن أنبياء كانوا قبل موسى، وكل ذلك يبين أنه من كلام من جاء بعد موسى، وأن ذلك يقتضي القدح في كونه حجة»[٥].

٣- الذين جمعوا بين نقد السند والمتن:

ومِن أبرز مَن جمع بين النقد الداخلي والخارجي لنصوص التوراة واستفاض فيها كلٌّ مِن

---

(١) أبو عثمان بن بحر الجاحظ، المختار في الرد على النصارى، ص٧٦ .

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص٧٦، ص٧٨.

(٣) علي بن ربن الطبري، الدين والدولة في إثبات نبوة النبي ﷺ، ص١٠٢، وانظر أيضًا الصفحات من ٩٩- ١٠٣.

(٤) القاضي عبد الجبار بن أحمد، المغني في أبواب التوحيد والعدل، تحقيق: أمين الخولي، ١٦/ ١٣٤.

(٥) المصدر السابق ١٦/ ١٣٦.

ابـن حـزم الأندلسيـ، والسـموأل بـن يحـي المغـربي (٥٧٠هـ) وعـلي البـاجي (ت ٧١٤هـ - ١٣١٥م).

وتمركز النقد الإسلامي لسند التوراة حول عدم انتشارها وذيوعها منذ مبدئها، واقتصار وجودهـا عـلى فئـة معينـة ظلـت محبوسـة عنـدهم؛ وذلـك لأن «كـل كتـاب أو شريعـة كانـا مقصـورين عـلى رجـال مـن أهلهـا، وكانـا محظـورين عـلى مـن سـواهما، فالتبـديل والتحريـف مضمون فيهما»[١].

ويستفيض السموأل بن يحي المغربي في بيان ذلك فيقول: « إن هذه التوراة التي بأيديهم- لا يعتقـد أحـد مـن علمائهـم وأحبـارهم- أنهـا المنزلـة عـلى موسـى-عليـه السـلام- البتـة؛ لأن موسى صان التوراة عن بني إسرائيل، ولم يبثها فيهم، وإنما سلمها إلى عشيرته أولاد ليوي،.. وكان بنو هارون قضاة اليهود وحكامهم؛ لأن الإمامة وخدمة القرابين وبيت المقدس كانت موقوفة عليهم، ولم يبذل موسى من التوراة لبني إسرائيل إلا نصف سورة يُقال لها «ها أزينو» (تثنية ٣٢: ١- ٤٤) أما بقية التوراة، فدفعها إلى أولاد هارون، وجعلها فيهم، وصانها عن سواهم»[٢].

وهؤلاء الأئمة الهارونيون لم يسلموا من الانحراف الديني والعقدي «ومن هذه صفته لا يؤمن عليه تغيير ما انفرد به»[٣] هذا مـن ناحية، ومـن ناحية أخرى «قتلهم بـختنصر على دم واحد، يوم فتح بيت المقدس»[٤].

ولهذا فإنـه «لـيس عـلى وجـه الأرض مـنهم بـشر يـروي التـوراة عـدلًا عـن عـدل، بـل هـي تلفيقات مجهولات وتواريخ موضوعات، بحيث إن التواريخ الإسلامية خير منها، وأوضح بكثير لقرب عهد زمانها، فإن بعد الزمان يقتضي مزيدًا من عدم الوثوق»[٥]، والحقيقة أن عبارات القـرافي السـابقة تظهـر أن نظـرة النقـاد المسـلمين للعهـد القـديم جعلتـه أشـبه بكتـب

(١) ابن حزم، الفصل في الملل والنحل،١/ ١٩٦.
(٢) السموأل بن يحي، إفحام اليهود، ص ١٣٥ – ١٣٧.
(٣) ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/ ٣٠١. ويُفصِّل ابن حزم في بيان وقائع الكفر والردة التي وقع فيها الكهنة الهارونيين، انظر: الفصل ١/ ١٩٦، ٣٠١، ٣٠٠، ٣٢٠ .
(٤) السموأل بن يحي، إفحام اليهود، ص١٣٥.
(٥) القرافي ٦٨٤هـ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، مكتبة النافذة، ط١، ٢٠٠٦م، ص١٤٧.

التاريخ، أو الوثائق التاريخية التي لابد أن تخضع لقواعد النقد التاريخي.

وبالنسبة للمتن فقد أفاض ابن حزم في القرن الخامس الهجري(١)، والسموأل بن يحي في القرن السادس الهجري في تمحيصه(٢)، وكانت معايير النقد لديهم تتمثل في الوحي الذي سلم من التحريف القرآن الكريم، و قواعد العقل، وشواهد الحس والثوابت العلمية، والتاريخية والجغرافية.

وكذلك إبراز التناقض الذاتي بين النصوص وتعارضها فيما بينها متمثلين للقاعدة القرآنية: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢].

- أما بالنسبة للسموأل بن يحيي المغربي فيمكننا أن نلخص المحاور الرئيسية لنقده لمتن التوراة على النحو التالي:

١- نقد النزعة الأنثروبرومورفية (التشبيهية) في وصف الإله(٣)، وهو يضرب أمثلة عديدة على ذلك من العهد القديم منها مثلاً التي تشير إلى ندم الإله، واستنشاقه رائحة الشواء، وغير ذلك، ويعلق بعد ذلك قائلاً: «يطول الكتاب إذا عددنا ما عندهم من كفريات التجسيم، على أن أحبارهم قد تهذبوا كثيرًا، عن معتقد آبائهم، بما استفادوه من توحيد المسلمين»(٤).

٢- نقد النزعة العنصرية في العهد القديم، فيقول: «هم يزعمون أن الله -سبحانه وتعالى- يحبهم دون جميع الناس، ويحب طائفتهم وسلالتهم ونحن نناظرهم على ذلك»(٥)، ويسوق أدلة من العهد القديم نفسه على تهافت هذه النزعة يهدف من خلالها إلى بيان أن «الله لا يحب الضالين منهم، ويحب المؤمنين من غير طائفتهم، ويتخذ أنبياء وأولياء من غير

---

(١) وهو ما سيتم تفصيله في موضعه من هذه الدراسة.

(٢) فالحقيقة أن كلاً من ابن حزم والسموأل قد أسَّسا منهجية في نقد العهد القديم، تقول حواء لازاروز: «والحقيقة أننا لابد وأن نعتبر كلاً من ابن حزم والسموأل، الذي استفاد من سالفه في كثير من التفاصيل، ولكنه أضاف أيضًا مادة نقدية جديدة، المصدران الرئيسيان للنقد الإسلامي الوسيط للعهد القديم واليهودية». (انظر:
HAVA LAZARUSE,MEDIVAL ISLAM & BIBLE CRITICISM ,P١٣٨).

(٣) انظر: السموأل بن يحيي، إفحام اليهود، ص ١٣١- ١٣٥.

(٤) المصدر نفسه ص ١٣٢.

(٥) المصدر نفسه ص ١٢١.

سلالتهم»[١]، ويؤدي هذا إلى دحض دعوى «اختصاص محبة الله- سبحانه وتعالى- بطائفتهم من بين المخلوقين»[٢].

٣- نقد السلوكيات المشينة المنسوبة للأنبياء، ويوضح السبب الحقيقي وراء نسبة تلك الكبائر للأنبياء منها: مثلاً رغبتهم في النيل من «عمون ومؤاب» فاخترعوا قصة زنا لوط بابنتيه[٣]. وعلى نفس النحو يكشف سبب الطعن في نسب داوود[٤].

وقد استفاد ابن حزم والسموأل من الجمع بين نقد السند ونقد المتن في محاولة الوصول «لمصدر التوراة»، حيث استقر كلاهما على أن عزرا هو من جمعها وألَّفها[٥]: يقول السموأل: «فلما رأى عزرا أن القوم قد أحرق هيكلهم، وزالت دولتهم وتفرق جمعهم، ورفع كتابهم، جمع من محفوظاته ومن الفصول التي يحفظها الكهنة، ما نفقد منه هذه التوراة التي بأيديهم الآن»[٦].

ونظرًا لقوة النتائج التي توصلوا لها وجديتها؛ فإن حواء لازاروز تعتبر كلاً من ابن حزم والسموأل بن يحيي المغربي «المصدرين الرئيسيين للنقد الإسلامي الوسيط للعهد القديم»[٧].

وواصل علي الباجي في القرن الثامن الهجري طريق سلفيه، ونقد التوراة متنًا وسندًا، وتوصل إلى نتائج هامة جدًّا استفاد منها من خلفوه.

واهتم على وجه الخصوص بإبراز التناقض الذاتي بين روايات التوراة، حيث لاحظ أن بعض الروايات تنقسم إلى روايتين كل منهما تناقض الأخرى مثل:

- رواية الخلق الواردة في سفر التكوين فيقول بصدد خلق السماء (تكوين ١: ١-٨) «إن ظاهره أن السماء مخلوقة في اليوم الثاني مع أنه قد ذكر أولًا أنها مخلوقة في الأول فقد تناقض الخبران»[٨].

كما أشار إلى أن رواية الطوفان تنطوي على خبرين مختلفين أحدهما تجعل عدد البهائم

---

(١) المصدر نفسه ص١٢٣.

(٢)المصدر نفسه، نفس الصفحة.

(٣) السابق ص١٤٩.

(٤) السابق ص١٥٢.

(٥) انظر: ابن حزم، الفصل في الملل والنحل،١ / ١٩٧.

(٦) السموأل بن يحيي، إفحام اليهود، ص١٣٥.

(٧) HAVA LAZAROSE, Medival islam and Bible Criticism,p ١٣٨.

(٨) علي الباجي، على التوراة، تحقيق: د.أحمد حجازي السقا، دار الأنصار، القاهرة، ط١، ١٩٨٠م.ص ٢١ .

الداخلة مع نوح اثنين اثنين، وأخرى تجعلها من الدواب الطاهرة سبعة سبعة، ومن غير الطاهرة اثنين اثنين(١).

- كما أشار إلى تناقض بعض روايات التوراة مع صريح المعقول، مثل ما ورد حول حرب بني إسرائيل مع العمالقة (الخروج ١٧: ١١- ٣) «وكان إذا رفع موسى يديه يغلب بنو إسرائيل، وإذا خفض يديه تغلب العمالقة...»، «فإن رفع يدي موسى هكذا إلى أن تعبت، ودعمها برجلين حتى يبقى كأنه مصلوب هذا ما لا تقبله العقول، فإن النصر من عند الله، فإن كان ثم دعا إلى الله تعالى، فنعم وأما هذه الصورة المنكرة فلا»(٢).

- تناقض الفقرات التي تصف الإله على نحوٍ بشري مع التنزيه الواجب لله تعالى: (تكوين ١: ٢٦) فيقول: «كيف يحسن أن يقال (كصورتنا وشبهنا) مع أن الله سبحانه منزه عن الصورة، بل هو خالق الصور كلها»(٣)، ويقول في موضعٍ لاحق «كيف يحسن أن يقال: (وأعطى لموسى لما فرغ من كلامه له من طور سيناء لوحي الشهادة، لوحين من حجارة مكتوب عليها بإصبع الله) (خروج ٣١: ١٨)، مع أن الله سبحانه عند اليهود والمحققين من المسلمين منزه عن الإصبع وسائر الجوارح»(٤).

- وينتقد الباجي الفقرات (٢٠ – ٢١) من سفر التثنية، والتي تشير إلى قصر العناية والهداية الإلهية على بني إسرائيل دون غيرهم من الأمم؛ فيقول: «إن ظاهر هذا الكلام أن هذا المأكول محرم على بني إسرائيل وحدهم، حلال لغيرهم من السكان و الغرباء، وأن هاتين الطائفتين ليستا مكلفتين بشريعة موسى، ولا بغيرها كأهل مصر، و أن الله أهملهم بغير تكليف وبغير شريعة، مع مخالطتهم مع أهل الشريعة، وكيف يحسن هذا في الحكمة الإلهية أن يبالغ في هداية بني إسرائيل إلى هذا الحد من المبالغة، ويهمل غيرهم إلى هذا الحد من الإهمال؟ ولا يقال: إنهم كانوا مكلفين بشريعة غير موسى، إذ لو كان كذلك لما تعرض لهم موسى و لما قاتلهم»(٥).

---

(١) المصدر السابق، ص٤٥ .
(٢) السابق ص٩٤ .
(٣) السابق ص٢٥ .
(٤) السابق ص٩٩ .
(٥) السابق ص ١٣٢ .

أما بالنسبة للنقد الخارجي أو النقد المصدري: فقد برهن الباجي على أن التوراة لا تعود لموسى خلال تمحيصه لألفاظ التوراة، حيث لاحظ أنه قد ورد في سفر العدد الإشارة إلى موسى-عليه السلام- بضمير الغائب فيقول: «فإن ظاهر قوله (أوصى الله لموسى) لفظ غيبة يقتضي أن الله وموسى غير الحاكي والمُحكى له»[1].

(١) انظر: المصدر السابق، ص١٢٢-١٢٣، وهذه هي نفس الحجة النقدية التي استخدمها سبينوزا فيما بعد، يقول سبينوزا: «لا يتحدث الكتاب عن موسى بضمير الغائب فحسب، وإنما يعطي عنه شهادات عديدة مثل: تحدث الله مع موسى، كان الله مع موسى وجهًا لوجه، كان موسى رجلاً حليمًا...». (انظر: رسالة في اللاهوت و السياسة، ترجمة: د.حسن حنفي، ص ٢٦٩.